

ما وعدك وسينصرك على من خالفك إنه لا يخلف الميعاد وقوله ( إنهم منتظرون ) أنت منتظر وهم منتظرون  
ويتربصون بكم الدوائر ( أم يقولون شاعر تترى به ريب النون ) وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء  
رسالة الله في نصرتك وتأيدك وسجدون غيب ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك من وبيل عقاب الله لهم وحلول عذابه  
بهم وحسبنا الله ونعم الوكيل آخر تفسير سورة السجدة والله الحمد والمنة

### ( تفسير سورة الاحزاب وهي مدنية )

قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن هشام حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر قال : قال لي أبي بن كعب كأي  
تقرأ سورة الأحزاب أو كأي تعدها ؟ قال قلت ثلاثاً وسبعين آية فقال قط لقد رأيتها وإنما لتعادل سورة البقرة  
ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ورواه النسائي من وجه آخر  
عن عاصم وهو ابن أبي النجود وهو أبو بهدلة به ، وهذا إسناد حسن وهو يقتضى أنه قد كان فيها قرآن ثم نسخ  
لفظه وحكمه أيضا والله أعلم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُطِيعُوا الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ  
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا \* وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾

هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى فانه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فلا بد أن يأمر من دونه بذلك بطريق الأولى  
والأحرى ، وقد قال طلق بن حبيب : التموى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية  
الله على نور من الله مخافة عذاب الله . قوله تعالى ( ولا تطع الكافرين والمنافقين ) أى لا تسمع منهم ولا تستسلم  
( إن الله كان عليماً حكيماً ) أى فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه فانه علم بعواقب الأمور حكيم فى أقواله وأفعاله  
ولهذا قال تعالى ( واتبع ما يوحي إليك من ربك ) أى من قرآن وسنة ( إن الله كان بما تعملون خبيراً ) أى فلا تخفى عليه خافية  
وتوكل على الله أى فى جميع أمورك وأحوالك ( وكفى بالله وكيلاً ) أى وكفى به وكيلاً لمن توكل عليه وأنا بآية

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ  
أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ \* ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ  
أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ  
وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

يقول تعالى موثقاً قبل المقصود المعنوى أمراً معروفاً حسياً وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان فى جوفه  
ولا تصير زوجته التى يظهر منها بقوله أنت على كظهر أمى أما له ، كذلك لا يصير الدعى وهذا للرجل إذا تبناه  
فدعاه ابناله فقال ( ما جعل الله للرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم ) كقوله عز  
وجل ( ما هن أمهاتهم إلا اللائى ولهنهم ) الآية . وقوله تعالى ( وما جعل أدعياءكم أبناءكم ) هذا هو المقصود  
بالنفى فانه انزلت فى شأن زيد بن حارثة رضى الله عنه مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبناه  
قبل النبوة فكان يقال له زيد بن محمد فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الالحاق وهذه النسبة بقوله تعالى ( وما جعل  
أدعياءكم وأبناءكم ) كما قال تعالى فى أثناء السورة ( ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين

وكان الله بكل شيء علما ) وقال ههنا ( ذلك قولكم بأقوالهم ) يعني تنبيكم لهم قول لا يقتضى أن يكون ابنا حقيقيا فانه مخلوق من صلب رجل آخر فما يمكن أن يكون له أبوان كمالا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان ( والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ) قال سعيد بن جبير ( يقول الحق ) أى العدل ، وقال قتادة ( وهو يهdy السبيل ) أى الصراط المستقيم وقد ذكر غير واحد أن هذه الآية نزلت فى رجل من قريش كان يقال له ذو القلبين وأنه كان يزعم أن له قلبين كل منهما بعقل وافر فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليه . هكذا روى العوفى عن ابن عباس ، وقاله مجاهد وعكرمة والحسن وقاتدة واختاره ابن جرير . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن قابوس يعنى ابن أبى ظبيان قال إن أباه حدثه قال قلت لابن عباس رأيت قول الله تعالى ( ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ) ما عنى بذلك؟ قال قام رسول الله ﷺ يوما يصلى فخطر خطرة فقال المناقون الذين يصلون معه ألا ترون له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فأنزل الله تعالى ( ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ) وهكذا رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى عن صاعد الحرانى عن عبد بن حميد وعن أحمد بن يونس كلاهما عن زهير وهو ابن معاوية به ثم قال وهذا حديث حسن ، وكذا رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث زهير به . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري فى قوله ( ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ) قال بلغنا أن ذلك كان فى زيد بن حارثة ضرب له مثل : يقول ليس ابن رجل آخر ابنا وكذا قال مجاهد وقاتدة وابن زيد أنها نزلت فى زيد بن حارثة رضى الله عنه ، وهذا يوافق ما قدمناه من التفسير والله سبحانه وتعالى أعلم . وقوله عز وجل ( ادعوم لأبائهم هو أقسط عند الله ) هذا أمر ناسخ لما كان فى ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب وهم الأديعاء فأمر تبارك وتعالى برد نسبهم إلى آبائهم فى الحقيقة وأن هذا هو العدل والقسط والبر . قال البخارى رحمه الله حدثنا معلى بن أسد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة قال حدثنى سالم عن عبد الله بن عمر قال إن زيد بن حارثة رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ( ادعوم لأبائهم هو أقسط عند الله ) وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى من طرق عن موسى بن عقبة به . وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه فى الخلوة بالحارم وغير ذلك ، ولهذا قالت سمية بنت سهيل امرأة أبى حذيفة رضى الله عنهما يا رسول الله كنا ندعو سالما ابنا وإن الله قد أنزل ما أنزل وإنه كان يدخل على وإنى أجد فى نفس أبى حذيفة من ذلك شيئا ، فقال صلى الله عليه وسلم « أرضعنه تحرمى عليه » الحديث ، ولهذا لما نسخ هذا الحكم أباح تبارك وتعالى زوجة الدعى ، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة رضى الله عنه ، وقال عز وجل ( لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ) وقال تبارك وتعالى فى آية التحريم ( وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ) احترازا عن زوجة الدعى فانه ليس من الصلب فأما الابن من الرضاعة فنزل منزلة ابن الصلب شرعا بقوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين « حرما من الرضاعة من يحرم من النسب » فأما دعوة الغير ابنا على سبيل التكريم والتحبيب فليس مما نهى عنه فى هذه الآية بدليل ما رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا الترمذى من حديث سفيان الثورى عن سلمة بن كهيل عن الحسن العرنى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أغيلة بنى عبد المطلب على جمرات لنا من جمع فجعل يلبطخ أفضاذا ويقول « أبى لا ترموا الجمره حتى تطلع الشمس » قال أبو عبيدة وغيره أبى تصغير أبى وهذا ظاهر الدلالة فان هذا كان فى حجة الوداع سنة عشر . وقوله ( ادعوم لأبائهم ) فى شأن زيد بن حارثة رضى الله عنه وقد قتل فى يوم مؤتة سنة ثمان وأيضاً فى صحيح مسلم من حديث أبى عوانة الواضح بن عبد الله الشكرى عن الجعد أبى عثمان البصرى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ « يا بنى » ورواه أبو داود والترمذى ، وقوله عز وجل ( فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم ) أمر تعالى برد أنساب الأديعاء إلى آبائهم إن عرفوا فإن لم يعرفوا فهم إخوانهم فى الدين ومواليهم أى عوضا عما فاتهم من النسب ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرج من مكة عام عمرة القضاء وتبعهم ابنة حمزة رضى الله عنها تنادى يا عم يا عم فأخذها على رضى الله عنه

وقال لفاطمة رضی الله عنها دونك ابنة عمك ، فاحتلمتها فاختم فيها طي وزيد وجعفر رضی الله عنهم في أيهم يكفلها فكل أدلى بحجة . فقال طي رضی الله عنه أنا أحق بها وهي ابنة عمي ، وقال زيد ابنة أخي ، وقال جعفر بن أبي طالب ابنة عمي وخالتها تحتي يعني أسماء بنت عميس ، ففضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال « الحالة بمنزلة الأم » وقال لعلي رضی الله عنه « أنت مني وأنا منك » وقال لجعفر رضی الله عنه « أشبهت خلقي وخلقي » وقال لزيد رضی الله عنه « أنت أخونا ومولانا » في هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها أنه ﷺ حكم بالحق وأرضى كلام من المتنازعين وقال لزيد رضی الله عنه « أنت أخونا ومولانا » كما قال تعالى ( فإخوانكم في الدين ومواليكم ) وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علي بن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال أبو بكر رضی الله عنه قال الله عز وجل ( ادعوهم لآبائهم هو أوسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم ) فأنا ممن لا يعرف أبوه فأنا من إخوانكم في الدين ، قال أبي والله إنى لأظنه أنه لو علم أن أباه كان حمارا لاتمى إليه وقد جاء في الحديث « ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر » وهذا تشديد وتهديد ووعيد أكيد في التبري من النسب المعلوم ولهذا قال تعالى ( ادعوهم لآبائهم هو أوسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم ) ثم قال تعالى ( وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ) أي إذا نسبتهم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع فإن الله تعالى قد وضع الجرح في الخطأ ورفع إيمه كما أرشد إليه في قوله تبارك وتعالى أمرا عباده أن يقولوا ( ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ) وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل قد فعلت » . وفي صحيح البخاري عن عمرو بن العاص رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر » وفي الحديث الآخر « إن الله تعالى رفع عن أمتي الخطأ والنسيان والأمر الذي يكرهون عليه » وقال تبارك وتعالى ههنا ( وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيمًا ) أي وإنما الإثم على من تعمد الباطل كما قال عز وجل ( لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ) الآية . وفي الحديث المتقدم « ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر » وفي القرآن المنسوخ فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آباءكم . قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن عمر رضی الله عنهم أنه قال : إن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل معه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، ثم قال قد كنا نقرأ ( ولا ترغبوا عن آباءكم فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آباءكم ) وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تطروني كما أطرت عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فانما أنا عبد الله فقولوا عبده ورسوله » وربما قال معمر « كما أطرت النصراني ابن مريم » ورواه في الحديث الآخر « ثلاث في الناس كفر ، الطعن في النسب ، والنياحة على الميت . والاستسقاء بالنجوم » .

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا إِلَىٰ أَوْلِيَاءِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾

قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته ونصحه لهم فجعله أولى بهم من أنفسهم ، وحكمه فيهم كان مقدما على اختيارهم لأنفسهم كما قال تعالى ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويساموا تسليما ) وفي الصحيح « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين » وفي الصحيح أيضاً أن عمر رضی الله عنه قال يا رسول الله والله لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي ، فقال صلى الله عليه وسلم « لا يعمر حتى أكون أحب إليك من نفسك » . فقال يا رسول الله

والله لأنت أحب إلى من كل شيء حتى من نفسي ، فقال صلى الله عليه وسلم « الآن يا عمر » ولهذا قال تعالى في هذه الآية ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) ، وقال البخارى عنده هذه الآية الكريمة حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثنا أبي عن هلال بن طي عن عبدالرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة : اقرءوا إن شئتم ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) فأيا مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه » تفرد به البخارى ورواه أيضا في الاستقراض وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن فليح به مثله ، ورواه أحمد من حديث أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ بنحوه ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن الزهري في قوله ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي ﷺ كان يقول « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه فأيا رجل مات وترك ديناً فإلي ، ومن ترك مالا فهو لورثته » ورواه أبو داود عن أحمد ابن حنبل به نحوه وقوله تعالى ( وأزواجه أمهاتهم ) أى في الحرمة والاحترام ، والتوقير والاكرام والاعظام ، ولكن لا تجوز الخلو بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالاجماع ، وإن مى بعض العلماء بناتهن أخوات المؤمن كاهو منصوص الشافعى رضى الله عنه في المختصر ، وهو من باب إطلاق العبارة لإثبات الحكم ، وهل يقال لمعاوية وأمثاله خال المؤمنين ؟ فيه قولان للعلماء رضى الله عنهم ، ونص الشافعى رضى الله عنه على أنه لا يقال ذلك ، وهل يقال لمن أمهات المؤمنات فدخل النساء في جمع الذكر السالم تغليبا ؟ فيه قولان ، صح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لا يقال ذلك وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعى رضى الله عنه . وقد روى عن أبي بن كعب وابن عباس رضى الله عنهم أنهما قرآ ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم ) . وروى نحو هذا عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعى رضى الله عنه . حكاه البغوى وغيره واستأنسوا عليه بالحديث الذى رواه أبو داود رحمه الله حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي حدثنا ابن المبارك عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب يمينه » وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة . وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث ابن عجلان ، والوجه الثانى أنه لا يقال ذلك واحتجوا بقوله تعالى ( ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ) . وقوله تعالى ( وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ) أى في حكم الله . ( من المؤمنين والمهاجرين ) أى القرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالخلف والمؤاخاة التى كانت بينهم كما قال ابن عباس وغيره : كان المهاجرى يرث الأنصارى دون قراباته وذوى رحمه للأخوة التى آخى بينهما رسول الله ﷺ ، وكذا قال سعيد بن جبير وغير واحد من السلف والخلف . وقد أورد فيه ابن أبي حاتم حديثاً عن الزبير بن العوام فقال حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي بكر اللصبي من سأكنى بغداد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال أنزل الله عز وجل فينا خاصة معشر قريش والأنصار ( وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ) وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا فوجدنا الأنصار نعم الاخوان فواخيناهم ووارثناهم فأخى أبو بكر رضى الله عنه خارجة بن زيد ، وأخى عمر رضى الله عنه فلانا ، وأخى عثمان رضى الله عنه رجلاً من بني زريق ابن سعد الزرقى ويقول بعض الناس غيره قال الزبير رضى الله عنه واخيت أنا كعب بن مالك فبجته فابتعلته فوجدت السلاح قد ثقله فبارى فوالله يا بنى لومات يومئذ عن الدنيا ماورثه غيرى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة فرجعنا إلى مواريتنا . وقوله تعالى ( إلا أن تسفلوا إلى أولياكم معروفاً ) أى ذهب الميراث وبقى النصر والبر والصلة والاحسان والوصية ، وقوله تعالى ( كان ذلك في الكتاب مسطوراً ) أى هذا الحكم وهو أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول الذى لا يسدل ولا

يغير . قاله مجاهد وغير واحد وإن كان تعالى قد شرع خلافه في وقت لئله في ذلك من الحكمة البالغة وهو يعلم أنه سينسخه إلى ما هو جار في قدره الأزلي وقضائه القدرى الشرعى والله أعلم .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۗ لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن أولى العزم الخمسة وبقية الأنبياء أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله تعالى وإبلاغ رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق كما قال تعالى ( وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقرنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ) فهذا العهد والميثاق أخذ عليهم بعد إرسالهم وكذلك هذا ، ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة وهم أولو العزم وهو من باب عطف الخاص على العام وقد صرح بذلك في هذه الآية وفي قوله تعالى ( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ) فذكر الطرفين والوسط الفاعل والخاتم ومن بينهما على الترتيب فهذه هي الوصية التي أخذ عليهم الميثاق بها كما قال تعالى ( وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ) فبدأ في هذه الآية بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقي حدثنا محمد بن بكر حدثنا سعيد بن بشير حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قول الله تعالى ( وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ) الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم » سعيد بن بشير فيه ضعف ، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسل وهو أشبه ، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفاً والله أعلم . وقال أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو أحمد حدثنا حمزة الزيات حدثنا عدى بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : خيار ولد آدم حمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم . موقوف وحمزة فيه ضعف ، وقد قيل إن المراد بهذا الميثاق الذي أخذ منهم حين أخرجوا في صورة الله من صلب آدم عليه الصلاة والسلام كما قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال : ورفع أباهم آدم فنظر إليهم يعني ذريته وأن فيهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال : رب لوسويت بين عبادك فقال : إني أحببت أن أشكر . ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة وهو الذي يقول الله تعالى ( وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ) وهذا قول مجاهد أيضاً ، وقال ابن عباس : للميثاق الغليظ العهد وقوله تعالى ( ليسأل الصادقين عن صدقهم ) قال مجاهد البلغين المؤدين عن الرسل ، وقوله تعالى ( وأعد للكافرين ) أى من أهمهم ( عذاباً أليماً ) أى موجعاً فنحن نشهد أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم ونصحوا الأم وأفصحوا لهم عن الحق المبين الواضح الجلى الذى لا لبس فيه ولا شك ولا امتراء وإن كذبهم من كذبهم من الجهلة والعاندين واللارقين والتاسطين ، فما جاءت به الرسل هو الحق ومن خالفهم فهو على الضلال كما يقول أهل الجنة ( قد جاءت رسلنا بالحق )

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۗ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۝ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين في صرفه أعداءهم وهزمه إياهم عام تألبوا عليهم وتجزبوا وذلك عام الخندق ، وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور ، وقال موسى بن عقبة وغيره كان في سنة أربع وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفر من أشراف يهود بني النضير الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى خير منهم سلام بن أبي الحقيق وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع خرجوا إلى مكة فاجتمعوا بأشراف قريش وألبوم على حرب النبي صلى الله عليه وسلم ووعدهم من أنفسهم النصر والاعانة فأجابوهم إلى ذلك ثم خرجوا إلى غطفان فدعواهم فاستجابوا لهم أيضا ، وخرجت قريش في أحابيشها ومن تابعها وقادهم أبو سفيان صخر بن حرب ، وعلى غطفان عيينة بن حصن بن بدر ، والجميع قريب من عشرة آلاف فلما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق ، وذلك بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه ، فعمل المسلمون فيه واجتهدوا وتقل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وحفر ، وكان في حفره ذلك آيات بينات ودلائل واضحات . وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريبا من أحد ونزلت طائفة منهم في أعالي أرض المدينة كما قال الله تعالى ( إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ) وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وهم نحو من ثلاثة آلاف وقيل سبعمائة فأسندوا ظهورهم إلى سلع وجوههم إلى نحو العدو ، والخندق حفر ليس فيه ماء بينهم وبينهم يحجب الحيلة والرجالة أن تصل إليهم وجعل النساء والدراري في أطام المدينة ، وكانت بنو قريظة وهم طائفة من اليهود لهم حصن شرقي المدينة ولهم عهد من النبي ﷺ وذمة وهم قريب من ثمانمائة مقاتل فذهب إليهم حبي بن أخطب النضري فلم يزل بهم حتى تقضوا العهد ومالأوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فمظم الحطب واشتد الأمر وضاق الحال كما قال الله تبارك وتعالى ( هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ) ومكثوا محاصرين للنبي ﷺ وأصحابه قريبا من شهر إلا أنهم لا يصلون إليهم ولم يقع بينهم قتال ، إلا أن عمرو بن عبد ود العامري وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية ركب ومعه فوارس فالتحموا الخندق وخلصوا إلى ناحية المسلمين فندب رسول الله ﷺ خيل المسلمين إليه فيقال إنه لم يبرز إليه أحد ، فأمر عليا رضي الله عنه فخرج إليه فتجاولا ساعة ثم قتله على رضي الله عنه فكان علامة على النصر . ثم أرسل الله عز وجل على الأحزاب ريحا شديدة المهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيمة ولا شيء ، ولا توقد لهم نار ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين كما قال الله عز وجل ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا ) قال مجاهد وهي الصبا ، ويؤيده الحديث الآخر « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدهبور » وقال ابن جرير حدثني محمد بن الثني حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن عكرمة قال : قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلق نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال إن الحرة لا تسرى بالليل قال : فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن حفص بن غياث عن داود عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره وقال ابن جرير أيضا حدثنا يونس حدثنا ابن وهب حدثني عبيد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال أرسلني خالي عثمان بن مظعون رضي الله عنه ليلة الخندق في برد شديد ورجع إلى المدينة فقال اتنا بطعام ولحاف قال فاستأذنت رسول الله ﷺ فأذن لي وقال « من أئمت من أصحابي فرهم يرجعوا » قال فذهبت والريح تسنى كل شيء فجعلت لا ألقى أحدا إلا أمرته بالرجوع إلى النبي ﷺ قال فما يلوي أحد منهم عنقه ، قال وكان معي ترس لي فكانت الريح تضربه على وكان فيه حديد قال فضربته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفي فأبعدها إلى الأرض .

وقوله ( وجنودا لم تروها ) هم الملائكة زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف فكان رئيس كل قبيلة يقول يا بني فلان إلى فيجتمعون إليه فيقول : النجاء ، النجاء ، لما ألقى الله عز وجل في قلوبهم من الرعب ، وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه يا أبا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتوه ؟ قال : نعم يا ابن أخي قال وكيف كنتم تصنعون ؟ قال والله لقد كنا نجهد ، قال الفتى والله لو أدر كناه

ما تركناه يمشى على الأرض ولحناء على أعناقنا . قال : قال حذيفة رضى الله عنه يا ابن أخى والله لو رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالحنديق وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يا من الليل ثم التفت فقال « من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ؟ - يشترط له النبي ﷺ أن يرجع - أدخله الله الجنة » قال فما قام رجل ، ثم صلى رسول الله ﷺ هويا من الليل ثم التفت إلينا فقال مثله ، فما قام منا رجل ، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت إلينا فقال « من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ، - يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيق في الجنة » فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يبق أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال ﷺ « يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا » قال فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله عز وجل تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قرأراً ولا ناراً ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر كل امرئ من جلسه . قال حذيفة رضى الله عنه فأخذت بيد الرجل الذى إلى جنبي فقلت من أنت ، فقال أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون والله ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن لا تحدث شيئا حتى تأتيني لو شئت لقتلته بسهم ، قال حذيفة رضى الله عنه فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلى في مرط لبعض نسائه مرحل فلما رآنى أدخلنى بين رجله وطرح على طرف المرط ثم ركع وسجدواى لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر وصمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم وقد رواه مسلم فى صحيحه من حديث الأعمش عن إبراهيم التيمى عن أبيه قال : كنا عند حذيفة بن اليمان رضى الله عنه فقال له رجل لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت : فقال له حذيفة أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب فى ليلة ذات ریح شديدة وقر قال رسول الله ﷺ « ألا رجل يأتى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة » فلم يجبه منا أحد ثم الثانية ثم الثالثة مثله ثم قال صلى الله عليه وسلم « يا حذيفة قم فأتنا بخبر من القوم » فلم أجدها إذ دعاني باسمي أن أقوم فقال « اتنى بخبر القوم ولا تدعهم على » قال فضيت كأنما أمشى فى حمام حتى أتيتهم فإذا أبو سفيان يصلى ظهره بالنار فوضعت سهما فى كبد قوسى وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعهم على ولو رميته لأصبتة قال فرجعت كأنما أمشى فى حمام فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أصابني البرد حين فرغت وقررت فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وألبسني من فضل عبادة كانت عليه يصلى فيها فلم أزل نائما حتى الصبح فلما أن أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قم يا نومان » ورواه يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال إن رجلا قال لحذيفة رضى الله عنه نشكو إلى الله صحبتكم لرسول الله ﷺ إنكم أدركتموه ولم ندرکه ورأيتموه ولم نره فقال حذيفة رضى الله عنه ونحن نشكو إلى الله إيمانكم به ولم نروه والله لا تدري يا ابن أخى لو أدركته كيف كنت تكون لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الحندق فى ليلة باردة مطيرة ثم ذكر نحو ما تقدم مطولا . وروى بلال ابن يحيى العيسى عن حذيفة رضى الله عنه نحو ذلك أيضا وقد أخرج الحاكم والبيهقى فى الدلائل من حديث عكرمة ابن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلى عن عبد العزيز بن أخى حذيفة قال ذكر حذيفة رضى الله عنه مشاهدم مع رسول الله ﷺ فقال جلساؤه أما والله لو شهدنا ذلك لكننا فعلنا وفعلنا . فقال حذيفة لا تمنوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعودا وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة لليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا ، ومأنت علينا قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا فى أصوات ريحها أمثال الصواعق وهى ظلمة ما يرى أحدا نأصبعه فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ويقولون : إن بيوتنا عورة وماهى بعورة ، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم فيستلون أو نحن ثلثائة أو نحو ذلك

إذا استقبلنا رسول الله ﷺ رجلا رجلا حتى آتى على وما على جنة من العدو ولا من البرد إلا مرط لا مرآى ما يجاوز ركبتي قال فأثنى ﷺ وأنا جاث على ركبتي فقال « من هذا ؟ » قلت حذيفة قال « حذيفة » فتناصرت الأرض فقلت: بلى يا رسول الله كراهية أن أقوم فقلت فقال « إنه كائن في القوم خير فأثنى بخبر القوم » قال وأنا من أشد الناس فزعا وأشدهم قرا قال فخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته » قال فوالله ما خلق الله تعالى فزعا ولا قرأ في جوفى إلا خرج من جوفى فما أجد فيه شيئا قال فلما وليت قال ﷺ « يا حذيفة لا تحدثن في القوم شيئا حتى تأتيني » قال فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد فإذا رجل آدم ضخيم يقول يسده على النار ويمسح خصرته ويقول: الرحيل الرحيل ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك فاتزعت سهما من كنانتي أبيض الريش فأضنه في كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار فذكرت قول رسول ﷺ « لا تحدثن فيهم شيئا حتى تأتيني » قال فأمسكت ورددت سهمي إلى كنانتي ثم إنى شجعت نفسي حتى دخلت العسكر فإذا أدنى الناس منى بنو عامر يقولون يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم . وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرا فوالله إنى لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح تضربهم بها ثم خرجت نحو النبي صلى الله عليه وسلم فلما اتصفت في الطريق أو نحووا من ذلك إذا أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمين فقالوا أخبر صاحبك أن الله تعالى كفاه القوم ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة يصلى فوالله ما عدا أن رجعت راجعي القر وجعلت أترقب فأوماً إلى رسول الله ﷺ بيده وهو يصلى فدنوت منه فأسبل على شملة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حز به أمر صلى فأخبرته خبر القوم وأخبرته أنى تركتهم يرتحلون وأنزل الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنود الم ترها وكان الله بما تعملون بصيراً ) وأخرج أبو داود في سننه منه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حز به أمر صلى ؛ من حديث عكرمة بن عمار به . وقوله تعالى ( إذ جاءكم من فوقكم ) أى الأحزاب ( ومن أسفل منكم ) تقدم عن حذيفة رضى الله عنه أنهم بنو قريظة ( وإذ اغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ) أى من شدة الخوف والفرع ( وتظنون بالله الظنونا ) قال ابن جرير ظن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الدائرة على المؤمنين وأن الله سيفعل ذلك ، وقال محمد بن إسحاق في قوله تعالى ( وإذ اغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا ) ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد يصدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى العائط ، وقال الحسن في قوله عز وجل ( وتظنون بالله الظنونا ) ظنون مختلفة ظن للناقون أن محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه يستأصلون . وأيقن المؤمنون أن ما وعد الله ورسوله حق وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عاصم الأنصارى حدثنا أبو طامرح وحدثنا أبي حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا الزبير بنى ابن عبد الله مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء تقول فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال ﷺ ، نعم ، قولوا اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا » قال ف ضرب وجوه أعدائه بالريح فهزمهم بالريح وكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي عامر العقدي

﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا . وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿

يقول تعالى مخبراً عن ذلك الحال حين نزلت الأحزاب حول المدينة والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق ورسول الله ﷺ بين أظهرهم أنهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا وزلزالاً شديداً فحينئذ ظهر النفاق وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم ( وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ) أما المنافق فنجم نفاقه ، والذي في قلبه شبهة أو حسكة ضعف حاله فتتفس بما يجده من الوسواس في نفسه لضعف إيمانه وشدة ما هو فيه من ضيق الحال ، وقوم آخرون قالوا كما قال الله تعالى ( وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب ) يعني المدينة كما جاء في الصحيح « أريت في المنام دار هجرتكم أرض بين حرتين فذهب وهلى أنها هجر فإذا هي يثرب » وفي لفظ المدينة ، فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن مهدي حدثنا صالح بن عمر عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن البراء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سمى المدينة يثرب فليس يغفر الله تعالى إنا ما هي طابة هي طابة » فخرده الإمام أحمد وفي إسناده ضعف والله أعلم ، ويقال إنا ما كان أصل تسميتها يثرب رجل نزلها من العماليق يقال له يثرب بن عبيد بن مهليل بن عوص بن هملق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح . قاله السهيلي ، قال وروى عن بعضهم أنه قال إن لها في التوراة أحد عشر اسماً : المدينة وطابة وطيبة والمسكينة والجابرة والحبة والمحوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء والمرحومة . وعن كعب الأحمري قال : إنا نجد في التوراة يقول الله تعالى للمدينة يا طيبة ويا طابة ويا مسكينة لا تغلى الكنوز أرفع أحاجرك على أحاجر القرى وقوله ( لا مقام لكم ) أى ههنا يعنون عند النبي صلى الله عليه وسلم في مقام الرابطة (فارجوا) أى إلى بيوتكم ومنازلكم ( ويستأذن فريق منهم النبي ) قال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما بنوحارثة قالوا يوتنا نخاف عليها السراق وكذا قال غير واحد ، وذكر ابن إسحاق أن القائل لذلك هو أوس بن قيطى يعني اعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عورة أى ليس دونها ما يحجبها من العدو فهم يخشون عليها منهم قال الله تعالى ( وما هي بعورة ) أى ليست كما يزعمون ( إن يريدون إلا فرارا ) أى هرباً من الزحف

﴿ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا بَسِيرًا \* وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُوانَ الْأَدْبِيرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا \* قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا \* قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾

يخبر تعالى عن هؤلاء الذين ( يقولون إن يوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا ) أنهم لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة وقطر من أقطارها ثم سألوا الفتنة وهي الدخول في الكفر لكفروا سريعاً وهم لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفرع ، هكذا فسرها قتادة وعبد الرحمن بن زيد وابن جرير وهذا ذم لهم في غاية الذم ، ثم قال تعالى يذكركم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف أن لا يولوا الأدبار ولا يفرون من الزحف ( وكان عهد الله مسئولا ) أى وإن الله سيسألكم عن ذلك العهد لا بد من ذلك ، ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم ولا يطول أعمارهم بل ربما كان ذلك سبباً في تسجيل أخذهم غرة ولهذا قال تعالى ( وإذا لا تمتعون إلا قليلاً ) أى بعد هربكم وفراركم ( قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ) ثم قال تعالى ( قل من ذا الذي يعصمكم من الله ) أى يمنعكم ( إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً ) أى ليس لهم ولا لغيرهم من دون الله مجير ولا منغيث .

﴿ قَدْ يَمْلِكُ اللَّهُ الْمَعُوقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا \* أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾

فَإِذَا جَاءَ أَخْلُوفُ رَأْيَتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ أَخْلُوفٌ سَلَقُوا كَمِ بِالْسِنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَيْكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١﴾

يخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب والقائلين لإخوانهم أي أصحابهم وعشرائهم وخطائهم (هلم إلينا) أي إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار وهم مع ذلك (لا يأتون البأس إلا قليلا) أشحة عليكم) أي بخلاء بالمودة والشفقة عليكم ، وقال السدي (أشحة عليكم) أي في الغنائم (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) أي من شدة خوفه وجزعه ، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال (فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد) أي فإذا كان الأمن تكلموا كلاما بليغا فصيحاً عاليا وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة وهم يكذبون في ذلك ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما (سلقوكم) أي استقبلوكم ، وقال قتادة أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأهم مقاسمة أعطونا أعطونا قد شهدنا معكم ، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق وهم مع ذلك أشحة على الخير أي ليس فيهم خير قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير فهم كما قال في أمثالهم الشاعر:

أفي السلم أعيار جفاء وغلظة      وفي الحرب أمثال النساء العوارك

أي في حال اللسالة كأنهم الحمر ، والأعيار جمع عير وهو الحمار ، وفي الحرب كأنهم النساء الحيض ، ولهذا قال تعالى (أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) أي سهلا هينا عنده .

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾

وهذا أيضا من صفاتهم القبيحة في الجبن والخور والخوف (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) بل هم قريب منهم وإن لهم عودة إليهم (وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنباءكم) أي ويودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمركم مع عدوكم (ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا) أي ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلا قليلا لكثرة جنهم وذلتهم وضعف يقينهم والله سبحانه وتعالى العالم بهم .

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر بتبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تملقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشأنه صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذَكَرَ الله كثيرا) ثم قال تعالى محبوا عن عبادة المؤمنين الصديقين بموعود الله لهم وجعله العاقبة حاصلة لهم في الدنيا والآخرة فقال تعالى (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) قال ابن عباس رضي الله عنهما وقاتلة يعنون قوله تعالى في سورة البقرة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلو من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول

الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب ) أى هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذى يعقبه النصر القريب ولهذا قال تعالى ( وصدق الله ورسوله ) . وقوله تعالى ( وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ) دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم كما قال جمهور الأئمة إنه يزيد وينقص وقد قرنا ذلك في أول شرح البخارى لله الحمد والمنة ومعنى قوله جلّت عظمته ( وما زادهم ) أى ذلك الحال والضيق والشدة ( إلا إيماناً ) بالله ( وتسليماً ) أى اشياداً لأوامره وطاعة لرسوله ﷺ

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴾  
لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿

لما ذكر عز وجل عن المنافقين أنهم تقضوا العهد الذى كانوا عاهدوا الله عليه لا يولون الأديار ، وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد واليثاق و ( صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نجبه ) قال بعضهم أجله وقال البخارى عهده وهو يرجع إلى الأول ( ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ) أى وما غيروا عهده ولا تقضوه ولا بدلوه ، قال البخارى حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال : لما نسخنا المصحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمه بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين ( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ) تفرد به البخارى دون مسلم وأخرجه أحمد فى مسنده والترمذى والنسائى فى التفسير من سنتيهما من حديث الزهري به وقال الترمذى حسن صحيح وقال البخارى أيضاً حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى حدثني أبي عن ثمامة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال نرى هذه الآية نزلت فى أنس بن النضر رضى الله عنه ( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ) الآية انفرد به البخارى من هذا الوجه ، ولكن له شواهد من طرق أخر . قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال : قال أنس : عمى أنس بن النضر رضى الله عنه سميت به لم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر فشق عليه وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه لأن أراى الله تعالى مشهداً فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله عز وجل ما أصنع . قال فهاب أن يقول غيرها فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد فاستقبل سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال له أنس رضى الله عنه يا أبا عمرو أين واهل لريح الجنة إنى أجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل رضى الله عنه قال فوجد فى جسده بضع وثمانون بين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته عمى الربيع ابنة النضر فما عرفت أخى إلا بينانه قال فنزلت هذه الآية ( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نجبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ) قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه ، وفى أصحابه رضى الله عنهم ورواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه النسائى أيضاً وابن جرير من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه به نحوه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هرون حدثنا حميد عن أنس رضى الله عنه قال إن عمه يعنى أنس بن النضر رضى الله عنه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين لئن أشهدنى الله عز وجل قتالاً للمشركين ليرين الله تعالى ما أصنع ، قال فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال : اللهم إنى أعترد إليك بما صنع هؤلاء - يعنى أصحابه - وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعنى المشركين - ثم تقدم فلقى سعد يعنى ابن معاذ رضى الله عنه دون أحد فقال أنا معك قال سعد رضى الله عنه فلم أستطع أن أصنع ما صنع فلما قتل قال فوجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم وكانوا يقولون فيه وفى أصحابه نزلت ( فمنهم من قضى نجبه ومنهم من ينتظر ) وأخرجه الترمذى فى التفسير عن عبد بن حميد والنسائى فيه أيضاً عن إسحق بن إبراهيم كلاهما عن يزيد بن هرون به

وقال الترمذى حسن . وقد رواه البخارى فى الغزوى عن حسان بن حسان عن محمد بن طلحة عن مصرف عن حميد عن أنس رضى الله عنه به ولم يذكر نزول الآية ورواه ابن جرير من حديث العتمر بن سليمان عن حميد عن أنس رضى الله عنه به : وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن الفضل العسقلانى حدثنا سليمان بن أيوب بن سليمان حدثنا عيسى بن موسى بن طلحة ابن عبيد الله حدثني أبى عن جدى عن موسى بن طلحة عن أبيه طلحة رضى الله عنه قال : لما أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد سعد للنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وعزى للمسلمين بما أصابهم وأخبرهم بما لهم فيه من الأجر والدخر ثم قرأ هذه الآية ( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ) الآية كلها ، فقام إليه رجل من المسلمين فقال يا رسول الله من هؤلاء ؟ فأقبلت وطى ثوبان أخضران حصرمان فقال « أيها السائل هذا منهم » وكذا رواه ابن جرير من حديث سليمان بن أيوب الطلحى به ، وأخرجه الترمذى فى التفسير والناقب أيضا وابن جرير من حديث يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما رضى الله عنه به وقال حديث غريب لانعرفه إلا من حديث يونس وقال أيضا حدثنا أحمد بن عصام الأنصارى حدثنا أبو عامر - يعنى العقى - حدثني إسحاق - يعنى ابن طلحة بن عبيد الله - عن موسى بن طلحة قال : دخلت على معاوية رضى الله عنه فلما خرجت دعاني فقال ألا أضع عندك يا ابن أخى حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ؟ أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « طلحة ممن قضى نحبه » ورواه ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الخمانى عن إسحاق بن يحيى بن طلحة الطلحى عن موسى بن طلحة قال : قام معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « طلحة ممن قضى نحبه » ولهذا قال مجاهد فى قوله تعالى ( فمنهم من قضى نحبه ) يعنى موته على الصدق والوفاء ومنهم من ينتظر الموت على مثل ذلك ومنهم من لم يبدل تبديلا وكذا قال قتادة وابن زيد وقال بعضهم : نحبه نذره وقوله تعالى ( وما بدلوا تبديلا ) أى وما غيروا عهدهم وبدلوا الوفاء بالعدو ، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه وما نقضوه كفضل للناققين الذين قالوا ( إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا ) ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأديار ) وقوله تعالى ( ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب الناققين إن شاء أو يتوب عليهم ) أى إنما يختبر عباده بالخوف والزلازل ليميز الخبيث من الطيب فيظهر أمر هذا بالفعل وأمر هذا بالفعل مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم حتى يعملوا بما يعلمه منهم كما قال تعالى ( ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ) فهذا علم بالشئ بسد كونه وإن كان العلم السابق حاصله به قبل وجوده : وكذا قال الله تعالى ( ما كان الله ليدر المؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ) ولهذا قال تعالى هنا ( ليجزى الله الصادقين بصدقهم ) أى بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه وقيامهم به ومحافظةهم عليه ( ويعذب الناققين ) وهم الناقضون لعهد الله الخالفون لأوامره فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه ولكن هم تحت مشيئته فى الدنيا إن شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه فيعذبهم عليه وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى التزوع عن النفاق إلى الإيمان والعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان ولما كانت رحمته ورأفته تبارك وتعالى بخلقه هى الغالبة لغضبه قال ( إن الله كان غفورا رحيفا )

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الأحزاب لما أجلاهم عن المدينة بما أرسل عليهم من الريح والجنود الالهية ولولا أن الله جعل رسوله رحمة للعالمين لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم التى أرسلها على عاد ولكن قال تعالى ( وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ) فسلط عليهم هواء فرق شملهم كما كان سبب اجتماعهم من الهوى وهم أخلاط من قبائل شتى أحزاب وآراء ، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذى فرق جماعتهم وردد خائبين خاسرين بغیظهم وحنقهم لم ينالوا خيرا لافى

الدنيا مما كان في أنفسهم من الظفر والمنعم ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول ﷺ بالعداوة وهمم بقتله واستئصال جيشه ، ومن هم بشيء وصدق همه بفعله فهو في الحقيقة كفاعله . وقوله تبارك وتعالى ( وكفى الله المؤمنين القتال ) أي لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم حتى يجلومهم عن بلادهم ؛ بل كفى الله وحده ونصر عبده وأعز جنده . ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده وأعز جنده ؛ وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده » أخرجاه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه . وفي الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنه قال : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال « اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ؛ اللهم اهزمهم وزلزلهم » وفي قوله عز وجل ( وكفى الله المؤمنين القتال ) إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش وهكذا وقع بعدها لم يفرحوا بل غزاهم للمسلمون في بلادهم ، قال محمد بن إسحق لما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا « لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم » فلم تغز قريش بعد ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله تعالى مكة ، وهذا الحديث الذي ذكره محمد بن إسحق حديث صحيح كما قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني أبو إسحق قال سمعت سليمان بن صرد رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب « الآن تغزوهم ولا يغزونا » وهكذا رواه البخارى في صحيحه من حديث الثورى وإسرائيل عن أبي إسحق به وقوله تعالى ( وكان الله قويا عزيزا ) أى بحوله وقوته ردهم خائبين لم ينالوا خيرا وأعز الله الإسلام وأهله وصدق وعده ونصر رسوله وعبده فله الحمد والمنة

﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَهَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكُتَيْبِ مِنْ صِيَاصِيهِمْ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا \* وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾

قد تقدم أن بنى قريظة لما قدمت جنود الأحزاب ونزلوا على المدينة تقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد وكان ذلك بسفارة حيي بن أخطب النضرى لعنه الله دخل حصنهم ولم يزل بسيدهم كعب بن أسد حتى تقضى العهد وقال له فيما قال ويحك قد جئت بك بمن الدهر أتيتك بقريش وأحابيشها وغطفان وأتباعها ، ولا يزالون ههنا حتى يستأصلوا عمداً وأصحابه ، فقال له كعب بل والله أتيتني بذلك الدهر . ويحك يا حيي إنك مشغوم فدعنا منك فلم يزل يفتل في الدرورة والغارب حتى أجابه واشترط له حيي إن ذهب الأحزاب ولم يكن من أمرهم شيء أن يدخل معهم في الحصن فيكون له أسوتهم ، فلما قضت قريظة وبلغ ذلك رسول الله ﷺ ساءه وشق عليه وعلى المسلمين جدا فلما أيدته الله تعالى ونصره وكبت الأعداء وردد خائبين بأخسر صفقة ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مؤيدا منصورا ووضع الناس السلاح ، فبينما رسول الله ﷺ يتنسل من وعشاء تلك المرابطة في بيت أم سلمة رضى الله عنها إذ تبدى له جبريل عليه الصلاة والسلام معجرا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج فقال : أوضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال ﷺ « نعم » قال لكن اللائكة لم تضع أسلحتها وهذا الآن رجوعى من طلب القوم ، ثم قال : إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض إلى بنى قريظة ، وفي رواية فقال له عذيرك من مقاتل أوضعتم السلاح ؟ قال « نعم » قال لكننا لم نضع أسلحتنا بعد ، انهض إلى هؤلاء قال صلى الله عليه وسلم « أين ا » قال بنى قريظة فان الله تعالى أمرني أن أنزل عليهم فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم من فوره وأمر الناس بالمسير إلى بنى قريظة وكانت على أميال من المدينة وذلك بعد صلاة الظهر ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بنى قريظة » فسار الناس فأدركتهم الصلاة في الطريق فصلى بعضهم في الطريق وقالوا لم يرد منا رسول الله ﷺ إلا تعجيل المسير ، وقال آخرون لا فصلها إلا في بنى قريظة فلم يعنف

واحداً من الفريقين ، وتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وأعطى الراية لعل بن أبي طالب رضى الله عنه . ثم نازلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمباً وعشرين ليلة ، فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس رضى الله عنه لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية ؟ واعتقدوا أنه يحسب إليهم في ذلك كما فعل عبد الله بن أبي ابن سلول في مواليه بنى قينقاع حين استطلقهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن هؤلاء أن سعداً سيفعل فيهم كما فعل ابن أبي في أولئك ولم يعلموا أن سعداً رضى الله عنه كان قد أصابه سهم في أكحله أيام الخندق فكواه رسول الله ﷺ في أكحله وأنزله في قبة في المسجد ليعوده من قريب وقال سعد رضى الله عنه فيها دعا به : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها ولا تمتني حتى تفر عيني من بنى قريظة ، فاستجاب الله تعالى دعاءه وقدر عليهم أن نزلوا على حكمه باختيارهم طلباً من تلقاء أنفسهم ، فعند ذلك استدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ليحكم فيهم ، فلما أقبل وهو راكب على حمار قد وطئوا له عليه جعل الأوس يلوذون به ويقولون يا سعد إنهم مواليك فأحسن فيهم ويرققونه عليهم ويعطفونه وهو ساكت لا يرد عليهم فلما أكثروا عليه قال رضى الله عنه ، لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . فعرفوا أنه غير مستبقيهم فلما دنا من الخيمة التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قوموا إلى سيدكم » فقام إليه المسلمون فأنزلوه اعظاماً وكراماً واحتراماً له في محل ولايته ليكون أنفذ لحكمه فيهم فلما جلس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هؤلاء - وأشار إليهم - قد نزلوا على حكمك فأحكم فيهم بما شئت » فقال رضى الله عنه وحكمي نافذ عليهم ، قال صلى الله عليه وسلم « نعم » قال وطئ من في هذه الخيمة ؟ قال « نعم » قال وطئ من ههنا وأشار إلى الجانب الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض بوجهه عن رسول الله ﷺ إجلالاً وإكراماً وإعظاماً ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » فقال رضى الله عنه إنى أحكم أن تقتل مقاتلتهم وتسي ذريتهم وأموالهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة » ، وفي رواية « لقد حكمت بحكم الملك » ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأخاديد فخذت في الأرض وجيء بهم مكنتين فضرب أعناقهم وكانوا ما بين السبعائة إلى الثمانمائة وسي من لم يثبت منهم مع النساء وأموالهم ، وهذا كله مقرر مفصل بأدلته وأحاديثه وبسطه في كتاب السيرة الذي أفردهناه موجزًا وبسيطًا والله الحمد والمنة ولهذا قال تعالى ( وأنزل الدين ظاهرهم ) أى عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من أهل الكتاب ) يعنى بنى قريظة من اليهود من بعض أسباط بنى إسرائيل كان قد نزل آباؤهم الحجاز قديماً طمعا في اتباع النبي الأُمى الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ( فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ) فعليهم لعنة الله ؟ وقوله تعالى ( من صياصيمهم ) يعنى حصونهم . كذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والسدى وغيرهم من السلف ومنه سمى صياصى البقر وهى قرونها لأنها أعلى شئ فيها ( وقذف في قلوبهم الرعب ) وهو الخوف لأنهم كانوا مالؤا المشركين على حرب النبي صلى الله عليه وسلم وليس من يعلم كمن لا يعلم وأخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليعزوهم في الدنيا فانعكس عليهم الحال ، وانقلب إليهم القال انشمر المشركون ففازوا بصفة المنبوعين ، فكأراموا العز ذلوا وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا ، وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة فصارت الجلمة أن هذه هى الصفة الحاسرة ؟ ولهذا قال تعالى ( فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ) فالذين قتلوا هم المقاتلة والأسراء هم الأصغر والنساء ، وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم بن بشير أخبرنا عبد الملك بن عمير عن عطية القرظى قال عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة فشكوا في فأمر بنى النبي صلى الله عليه وسلم أن ينظروا هل أنبت بعد فنظروا فلم يجدوا أنبت فغلى عني وألحقني بالسبي ، وكذا رواه أهل السنن كلهم من طرق عن عبد الملك بن عمير به وقال الترمذى حسن صحيح ، ورواه النسائى أيضاً من حديث ابن جريح عن ابن أبي نجيع عن مجاهد عن عطية بنحوه وقوله تعالى ( وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم ) أى جعلها لكم من قتلكم لهم ( وأرضالم تطأوها ) قيل خير وقيل

مكة رواء مالك عن زيد بن أحملم ، وقيل فارس والروم ، وقال ابن جرير يجوز أن يكون الجميع مراداً ( وكان الله على كل شيء قديراً ) قال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال : أخبرتني عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت يوم الخندق أقفوا الناس فسمعت وثيد الأرض ورأى فإذا أنا بسعد بن معاذ رضي الله عنه ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه قالت فجلست إلى الأرض فر ساعد رضي الله عنه وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه فأنا أتخوف على أطراف سعد قالت وكان سعد رضي الله عنه من أعظم الناس وأطولهم فر وهو يرتجز ويقول :

ليث قليلا يشهد الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل

قالت فقامت فاتجعت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين وإذا فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيهم رجل عليه تسبغة له تعني النفر فقال عمر رضي الله عنه ماجاء بك ؟ لعمري والله إنك لجرية ، وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تخور قالت فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت بي ساعتئذ فدخلت فيها فرفع الرجل التسبغة عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال : يا عمر ويحك إنك قدأ كثر منذ اليوم ، وأين التخور أو الفرار إلا إلى الله تعالى قالت ورمى سعدا رضي الله عنه رجل من قريش يقال له ابن العرقة بسهم له وقال له خذها وأنا ابن العرقة فأصاب أكله فقطعه فدعا الله تعالى سعد رضي الله عنه فقال : اللهم لآمتني حتى تفرعيني من بني قريظة قالت وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قالت فرقا كلمه وبعث الله تعالى الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا فلحق أبوسفيان ومن معه بتهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيمهم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمر بقبة من آدم فضربت على سعد رضي الله عنه في المسجد قالت فبعاه جبريل عليه السلام وان على ثيابه لتقع التبار فقال أوقد وضعت السلاح ؟ لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح اخرج إلى بني قريظة فقاتلهم قالت فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا فر على بني تميم وهم جيران المسجد فقال « من ربكم » قالوا ربنا دحية الكلبي وكان دحية الكلبي يشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه الصلاة والسلام فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فلما اشتد حصارهم واشتد البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروا أبا لباية بن عبدالمندفر فأشار إليهم إنه الذبيح ، قالوا تنزل على حكم سعد ابن معاذ رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ « انزلوا على حكم سعد بن معاذ » فنزلوا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ رضي الله عنه فأتى به على حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه ، وحف به قومه فقالوا يا أبا عمرو حلفائك ومواليك وأهل الكتاب<sup>(١)</sup> ومن قد علمت قالت فلا يرجع إليهم شيئا ولا يلتفت إليهم ، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال : قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم . قالت قال أبو سعيد فلما طلع : قال رسول الله ﷺ « قوموا إلى سيدكم فأنزلوه » فقال عمر رضي الله عنه سيدنا الله قال « أنزلوه » فأنزلوه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احكم فيهم » قال سعد رضي الله عنه فاني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسي ذراريهم وتقسم أموالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى وحكم رسوله » ثم دعا سعد رضي الله عنه : فقال اللهم إن كنت أقيت على نبيك من حرب قريش شيئا فأبقي لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فأقبضني إليك ، قال فانجر كلمه وكان قد برى منه إلا مثل الحرص ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما قالت فواللهي نفس محمد بيده إنى لأعرف بكاء أبي بكر رضي الله عنه من بكاء عمر رضي الله عنه وأنا في حجرتي وكانوا كما قال الله تعالى (رحماء بينهم) قال علقمة فقلت أي أمه فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ؟ قالت كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا وجد فإعماهو آخذ بلحيته صلى الله عليه وسلم وقد أخرج البخاري

(١) في النسخة الكية : وأهل النكابة .

ومسلم من حديث عبد الله بن نعيم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضی الله عنها نحو ما من هذا ولكنه أخصر منه وفيه دعا سعد رضی الله عنه

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعْنَكُمْ وَأَسْرَحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل فاخترن رضی الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة . قال البخاري حدثنا أبو اليان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضی الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله تعالى أن يخير أزواجه قالت فبدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمرى أبويك » وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفرقه قالت ثم قال « إن الله تعالى قال ( يا أيها النبي قل لأزواجك ) » إلى تمام الآيتين فقلت له ففي أي هذا استأمر أبوي فأني أريد الله ورسوله والدار الآخرة . وكذا رواه معلقا عن الليث حدثني يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة رضی الله عنها فذكره وزاد قالت ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت وقد حكى البخاري أن معمرا اضطرب فيه فتارة رواه عن الزهري عن أبي سلمة وتارة رواه عن الزهري عن عروة عن عائشة رضی الله عنها وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن عبدة الضبي حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال : قالت عائشة رضی الله عنها لما نزل الحيار قال لي رسول الله ﷺ « إني أريد أن أذكر لك أمراً فلا تقضى فيه شيئاً حتى تستأمرى أبويك » قالت قلت وما هو يا رسول الله ؟ قالت فرده عليها فقالت وما هو يا رسول الله ؟ قالت فرده عليها فقالت وما هو يا رسول الله ؟ قالت فقراً ﷺ عليها ( يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها ) إلى آخر الآية قالت فقلت بل نختار الله ورسوله والدار الآخرة قالت ففرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، وحدثنا ابن وكيع حدثنا محمد بن بشر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة رضی الله عنها قالت : لما نزلت آية التخيير بدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا عائشة إني عارض عليك أمراً فلا تفتأي فيه بشيء حتى تعرضيه على أبويك أبي بكر وأم رومان رضی الله عنهما » فقلت يا رسول الله وما هو ؟ قال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل ( يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنكم وأسرحنكم سراحاً جميلاً وإن كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجراً عظيماً ) » قالت فأني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ولا أوامر في ذلك أبوي أبا بكر وأم رومان رضی الله عنهما . فضحك رسول الله ﷺ ثم استقرأ الحجر فقال « إن عائشة رضی الله عنها قالت كذا وكذا » فقلن ونحن نقول مثل ما قالت عائشة رضی الله عنهن كلهن ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة عن محمد بن عمرو به قال ابن جرير وحدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثنا أبي حدثنا محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة رضی الله عنها قالت إن رسول الله ﷺ لما نزل (١) إلى نساءه أمر أن يخيرهن فدخل على فقال « سأذكر لك أمراً فلا تعجلي حتى تستشيري أباك » فقلت وما هو يا رسول الله ؟ قال « إني أمرت أن أخيركن » وتلا عليها آية التخيير إلى آخر الآيتين قالت فقلت وما الذي تقول لا تعجلي حتى تستشيري أباك ؟ فاني أختار الله ورسوله . فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وعرض على نساءه فتابعن كلهن فاخترن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا يزيد بن مسنان البصري حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني عقيل عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور



كقوله تعالى ( ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ) وكقوله عز وجل ( ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ) ( قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ) ( لو أراد الله أن يتخذ ولدا لأاصطفى ما يخلق ما يشاء سبحانه هو الواحد القهار ) فلما كانت محلتهن رفيعة ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظا صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع ولهذا قال تعالى ( من يأت مسكنا بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ) قال مالك عن زيد بن أسلم ( يضاعف لها العذاب ضعفين ) قال في الدنيا والآخرة ، عن ابن أبي نجیح عن مجاهد مثله ( وكان ذلك على الله يسيرا ) أى سهلا هينا ، ثم ذكر عدله وفضله في قوله ( ومن يقنت منكن لله ورسوله ) أى يطع الله ورسوله ويستجيب ( نوتها أجزاها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما ) أى فى الجنة فانهم فى منازل رسول الله ﷺ فى أعلى عليين فوق منازل جميع الخلاق فى الوسيلة التى هى أقرب منازل الجنة إلى العرش

﴿ يَذُوعُ النَّبِيُّ لِسْتِنَ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أُتْقِنَتْ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا \* وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا \* وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾

هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ ونساء الأمة تبع لهن فى ذلك فقال تعالى مخاطبا لنساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقن الله عز وجل كما أمرهن فإنه لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن فى الفضيلة والمزلة ثم قال تعالى ( فلا تخضعن بالقول ) أى دغل ( وقلن قولا معروفا ) قال ابن زيد: قولا حسنا جميلا معروفا فى الخير ، ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم أى لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها . وقوله تعالى ( وقرن فى بيوتكن ) أى الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة ، ومن الحوائج الشرعية الصلاة فى المسجد بشرطه كما قال رسول الله ﷺ « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن وهن ثقلات » وفى رواية « ويوتهن خير لهن » وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا أبو رجاء البكبي روح بن المسيب ثقة حدثنا ثابت البناني عن أنس رضى الله عنه قال : جئن النساء إلى رسول الله ﷺ فقلن يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد فى سبيل الله تعالى فمالنا عمل ندرك به عمل المجاهدين فى سبيل الله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ « من قعدت - أو كلمة نحوها - منكن فى بيتها فأنها تدرك عمل المجاهدين فى سبيل الله تعالى » ثم قال لا نعم . رواه عن ثابت لإرواح بن المسيب وهو رجل من أهل البصرة مشهور

وقال البزار أيضا حدثنا محمد بن الثنى حدثني عمرو بن عاصم حدثنا همام عن قتادة عن مورك عن أبي الأحوص عن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحة ربها وهى فى قصر بيتها » ورواه الترمذى عن بندار عن عمرو بن عاصم به نحوه . وروى البزار بإسناده المتقدم وأبو داود أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « صلاة المرأة فى محدها أفضل من صلاتها فى بيتها وصلاتها فى بيتها أفضل من صلاتها فى حجرتها » وهذا إسناد جيد ، وقوله تعالى ( ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ) قال مجاهد كانت المرأة تخرج تمشى بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية . وقال قتادة ( ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ) يقول إذا خرجت من بيوتكن وكانت لهن مشية وتكسر وتفتج فنهى الله تعالى عن ذلك ، وقال مقاتل بن حيان ( ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ) والتبرج أنها تلتقى الخمار على رأسها ولا تشده

فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج . وقال ابن جرير حدثني ابن زهير حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا داود يعني ابن أبي الفرات حدثنا علي بن أحمرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تلا هذه الآية ( ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ) قال كانت فيما بين نوح وإدريس وكانت ألف سنة وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة . وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة ، وإن إبليس لعنه الله أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فأجر نفسه منه فكان يخدمه فاتخذ إبليس شيئا من مثل الذي يرميه الرعاء فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله فاتتابوهم يسمعون إليه واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة فيتبرج النساء للرجال قال ويتزين الرجال لهم وإن رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهن فنزلوا معهن وظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله تعالى ( ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ) وقوله تعالى ( وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ) نهاهن أو لاعتن الشر ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى الخلقين ( وأطعن الله ورسوله ) وهذا من باب عطف العام على الخاص . وقوله تعالى ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا لأنهم سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح . وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادى في السوق ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة . وهكذا روى ابن أبي حاتم قال : حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ) قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، وقال عكرمة من شاء باهلهته إنها نزلت في شأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم فإن كان المراد أنهم كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح ، وإن أريد أنهم المراد فقط دون غيرهن ففي هذا نظر فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك ( الحديث الأول ) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا علي بن يزيد عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة رضي الله عنها ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول « الصلاة يا أهل البيت ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عفان به وقال حسن غريب ( حديث آخر ) قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو نعيم حدثنا يونس عن أبي إسحق أخبرني أبو داود عن أبي الحمراء قال رابطة المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله ﷺ قال رأيت رسول الله ﷺ إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة رضي الله عنهما فقال « الصلاة » الصلاة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » أبو داود الأعمى هو نعيم بن الحارث كذاب ( حديث آخر ) وقال الإمام أيضاً أيضاً حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الأوزاعي حدثنا شداد بن عمار قال دخلت على وائلة بن الأسقع رضي الله عنه وعنده قوم فدكروا علياً رضي الله عنه فشتموه فشتمته معهم فلما قاموا قال لي شتمت هذا الرجل قلت قد شتموه فشتمته معهم ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ ؟ قلت بلى قال أتيت فاطمة رضي الله عنها أسألتها عن علي رضي الله عنه فقالت توجه إلى رسول الله ﷺ فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وحسن وحسين رضي الله عنهم أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة رضي الله عنهما وأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً رضي الله عنهما كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءه ثم تلا ﷺ هذه الآية ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) وقال « اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق » . وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن عبد الكريم بن أبي عمير عن الوليد بن مسلم عن أبي عمرو الأوزاعي بسنده نحوه زاد في آخره قال وائلة رضي الله عنه فقلت وأنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهلك ؟ قال صلى الله عليه

وسلم « وأنت من أهلي » قال وائلة رضى الله عنه وإنهما من أرحمى ما أرحمى، ثم رواه أيضا عن عبد الأظلى بن واصل عن الفضل بن دكين عن عبد السلام بن حرب عن كلثوم المحاربي عن شداد بن أبي عمار قال إني لجالس عند وائلة بن الأسقع رضى الله عنه إذ ذكروا عليا رضى الله عنه فشموه فلما قاموا قال اجلس حتى أخبرك عن هذا الذى شتموه إني عند رسول الله ﷺ إذ جاء على وفاطمة وحسن وحسين رضى الله عنهم فأتى ﷺ عليهم كساء له ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قلت يا رسول الله وأنا ؟ قال ﷺ « وأنت » قال فوالله إنها لأوثق عمل عندي

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن غير حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح حدثني من مع أم سلمة رضى الله عنها تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيتها فأنته فاطمة رضى الله عنها بريمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال صلى الله عليه وسلم لها « ادعى زوجك وابنيك » قالت فجاء على وحسن وحسين رضى الله عنهم فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له وكان تحته صلى الله عليه وسلم كساء خيبرى قالت وأنا في الحجره أصلى فأنزل الله عز وجل هذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قالت رضى الله عنها فأخذ صلى الله عليه وسلم فضل الكساء فغطاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » ( قالت فأدخلت رأسى البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « إنك إلى خير إنك إلى خير » في إسناده من لم يسم وهو شيخ عطاء وبقية رجاله ثقات ﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مصعب بن القدام حدثنا سعيد بن زري عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن أم سلمة رضى الله عنها قالت جاءت فاطمة رضى الله عنها إلى رسول الله ﷺ بريمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق فوضعها بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال « أين ابن عمك وابناك ؟ » فقالت رضى الله عنها في البيت فقال صلى الله عليه وسلم « ادعهم » فجاءت إلى على رضى الله عنه فقالت أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وابناك قالت أم سلمة رضى الله عنها فلما رأهم مقبلين مد صلى الله عليه وسلم يده إلى كساء كان على النمامة فدهه وبسطه وأجلسهم عليه ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رءوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه فقال « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن حكيم ابن سعد قال ذكرنا على ابن أبي طالب رضى الله عنه عند أم سلمة رضى الله عنها فقالت في بيتي نزلت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قالت أم سلمة جاء رسول الله ﷺ إلى بيتي فقال « لا تأذنى لأحد » فجاءت فاطمة رضى الله عنها فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها ، ثم جاء الحسن رضى الله عنه فلم أستطع أن أمنه أن يدخل على جده وأمه ثم جاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه عن جده صلى الله عليه وسلم وأمه رضى الله عنهما ثم جاء على رضى الله عنه فلم أستطع أن أحجبه فاجتمعوا فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثم قال « هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت يا رسول الله وأنا ؟ قالت فوالله ما أنتم وقال « إنك إلى خير » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن أبي المعدل عن عطية الطفاوى عن أبيه قال إن أم سلمة رضى الله عنها حدثتني قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي يوما إذ قالت الخادم إن فاطمة وعليارضى الله عنهما بالسدة قالت فقال لى رسول الله ﷺ « قومي فتحنى عن أهل بيتي » قالت فقممت فتحنيت في البيت قريبا فدخل على وفاطمة ومعهما الحسن والحسين رضى الله عنهم وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق عليا رضى الله عنه باحدى يديه وفاطمة رضى الله عنها باليد الأخرى وقبل فاطمة وقبل عليا وأغدق عليهم خميسة سوداء وقال « اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي » قالت فقلت وأنا يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « وأنت » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير

حدثنا أبو كريب حدثنا الحسن بن عطية حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة رضی الله عنها قالت إن هذه الآية نزلت في بيتي (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) قالت وأنا جالسة على باب البيت فقلت يا رسول الله أأنت من أهل البيت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « إنك إلى خير ، أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم » قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضی الله عنهم (طريق أخرى) رواها ابن جرير أيضاً عن أبي كريب عن وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة رضی الله عنها بنحوه (طريق أخرى) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا خالد بن مخلد حدثني موسى بن يعقوب حدثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن عبد الله بن وهب بن زمة قال أخبرني أم سلمة رضی الله عنها قالت إن رسول الله ﷺ جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين رضی الله عنهم ، ثم أدخلهم تحت ثوبه ثم جأ إلى الله عز وجل ثم قال : « هؤلاء أهل بيتي » قالت أم سلمة رضی الله عنها فقلت يا رسول الله أدخلني معهم فقال ﷺ « أنت من أهلي » .

(طريق أخرى) رواها ابن جرير أيضاً عن أحمد بن محمد الطوسي عن عبد الرحمن بن صالح عن محمد بن سليمان الأصبهاني عن يحيى بن عبيد السكي عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة عن أمه رضی الله عنها بنحو ذلك (حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا محمد بن بشر عن زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت : قالت عائشة رضی الله عنها خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن رضی الله عنه فأدخله معه ثم جاء الحسين رضی الله عنه فأدخله معه ثم جاءت فاطمة رضی الله عنها فأدخلها معه ثم جاء علي رضی الله عنه فأدخله معه ثم قال صلى الله عليه وسلم (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وراه مسلم عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن محمد بن بشر بنه . (طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا شريح بن يونس أبو الحارث حدثنا محمد بن يزيد عن العوام يعني ابن حوشب رضی الله عنه عن ابن عم له قال دخلت مع أبي علي عائشة رضی الله عنها فسألته عن علي رضی الله عنه فقالت رضی الله عنها : تسألني عن رجل كان من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وكانت تحته ابنته وأحب الناس إليه ؟ لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً رضی الله عنهم فألقى عليهم ثوباً فقال « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » قالت فدوت منهم فقلت يا رسول الله وأنا من أهل بيتك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « تنحى فانك على خير » (حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا ابن المنثي حدثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزي حدثنا مندل عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) » قد تقدم أن فضيل بن مرزوق رواه عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة رضی الله عنها كما تقدم وروى ابن أبي حاتم من حديث هرون بن سعد العجلي عن عطية عن أبي سعيد رضی الله عنه موقوفاً والله سبحانه وتعالى أعلم (حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا ابن المنثي حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا بكر بن مسمار قال سمعت عامر بن سعد رضی الله عنه قال : قال سعد رضی الله عنه : قال رسول الله ﷺ حين نزل عليه الوحي فأخذ علياً وابنيه وفاطمة رضی الله عنهم فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال « رب هؤلاء أهلي وأهل بيتي » (حديث آخر) وقال مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب وشجاع بن مخلد جميعاً عن ابن عليه قال زهير حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثني أبو حيان حدثني يزيد بن حبان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر ابن سلمة إلى زيد بن أرقم رضی الله عنه فلما جلسنا إليه قال له حصين لقد لقيت يزيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ وصمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يزيد خيراً كثيراً . حدثنا يزيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حدثتكم فاقبلوا وما لا تكلفوا فيه ، ثم قال : قام فينا رسول الله ﷺ

يوما خطيبا بماء يدعى سخا بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال « أما بعد ألا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربى فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله عزوجل ورغب فيه ثم قال « وأهل بيتى أذكركم الله في أهل بيتى فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » ثلاثا فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قال ومن هم ؟ قال هم آل طى وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضى الله عنهم قال كل هؤلاء حرم الصدقة بعده ؟ قال نعم . ثم رواه عن محمد بن الريان عن حسان بن إبراهيم عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن جبان عن زيد بن أرقم رضى الله عنه فذكر الحديث بنحو ما تقدم وفيه قلت له من أهل بيته نساؤه ؟ قال لا ، وإيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها ، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده . هكذا وقع في هذه الرواية والأولى أولى والأخذ بها أخرى . وهذه الثانية تحتمل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الذى رواه إنما المراد بهم آل الذين حرموا الصدقة وأنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط ، بل هم مع آلهم ، وهذا الاحتمال أرجح جمعا بينها وبين الرواية التى قبلها وجمعا أيضا بين القرآن والأحاديث المتقدمة إن صحت فإن فى بعض أسانيدنا نظرا والله أعلم ثم الذى لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات فى قوله تعالى ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) فإن سياق الكلام معهن ولهذا قال تعالى بعد هذا كله ( واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ) أى واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم فى بيوتكن من الكتاب والسنة . قاله قتادة وغير واحد واذكرن هذه النعمة التى خصصتن بهامن بين الناس ، أن الوحي ينزل فى بيوتكن دون سائر الناس ، وعائشة الصديقة بنت الصديق رضى الله عنهما أولاهن بهذه النعمة وأحظاهن بهذه الغنيمة وأخصهن من هذه الرحمة العيمة ، فانه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي فى فراش امرأة سواها كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه قال بعض العلماء رحمه الله لأنه لم يتزوج بكرا سواها ولم ينم معها رجلا فى فراشها سواها صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها فناسب أن تخصص بهذه الزية ، وأن تفرد بهذه المرتبة العلية ، ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته فقرايته أحق بهذه التسمية كما تقدم فى الحديث « وأهل بيتى أحق » وهذا يشبه ما ثبت فى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ لما سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم فقال « هو مسجدى هذا » فهذا من هذا القبيل فإن الآية إنما نزلت فى مسجد بقاء كما ورد فى الأحاديث الأخرى ، ولكن إذا كان ذلك أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله ﷺ أولى بتسميته بذلك والله أعلم ، وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الوليد حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن عن أبى جميلة قال إن الحسن بن على رضى الله عنهما استخلف حين قتل على رضى الله عنهما قال . فبينما هو يصلى إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجره ، وزعم حصين انه بلغه ان الذى طعنه رجل من بنى أسد وحسن رضى الله عنه ساجد . قال فيزعمون ان الطعنة وقعت فى ورکه فرض منها أشهراً ثم برأ فقصد على المنبر فقال يا أهل العراق اتقوا الله فينا فانا أمراؤكم وضيغانكم ونحن أهل البيت الذى قال الله تعالى ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) قال فما زال يقولها حتى ما بقى أحد من أهل المسجد إلا وهو يحن بكاء ، وقال السدى عن أبى الديلم قال : قال على بن الحسين رضى الله عنهما لرجل من أهل الشام أما قرأت فى الأحزاب ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) قال نعم ولأتمم هم ؟ قال : نعم وقوله تعالى ( إن الله كان لطيفاً خبيراً ) أى بلطفه بكن بلطف هذه النزلة وبخبرته بكن وأنكن أهل لتلك أعطاك ذلك وخصكن بذلك ، قال ابن جرير رحمه الله واذكروا نعمة الله عليكم بأن جعلكن فى بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة فاشكرن الله تعالى على ذلك واحمدنه ( إن الله كان لطيفاً خبيراً ) أى ذا لطف بكن إذ جعلكن فى البيوت التى تتلى فيها آيات الله والحكمة . وهى السنة ، خيرا بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجا وقال قتادة ( واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ) قال يمتن عليهن

بذلك رواه ابن جرير وقال عطية العوفي في قوله تعالى (إن الله كان لطيفاً خبيراً) يعني لطيفاً باستخراجها خبيراً بموضعها رواه ابن أبي حاتم ثم قال وكذا روى عن الربيع بن أنس عن قتادة .

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عظيماً ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عثمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن بن شيبة قال سمعت أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ وسلم تقول قلت للنبي ﷺ ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت فلم يرعنى منه ذات يوم إلا ونداؤه على المنبر قالت وأنا أسرح شعري فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرتي حجرة بيتي فجمعت ممعى عند الجريد فإذا هو يقول عند المنبر « يا أيها الناس إن الله تعالى يقول إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات » إلى آخر الآية وهكذا رواه النسائي وابن جرير من حديث عبد الواحد بن زياد به مثله (طريق أخرى عنها) قال النسائي أيضاً حدثنا محمد بن حاتم حدثنا سويد أخبرنا عبد الله بن شريك عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ يابني الله مالي أجمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لا يذكرن ؟ فأنزل الله تعالى ( إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ) وقد رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي معاوية عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب حدثه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله أيدكر الرجال في كل شيء ولا نذكر ؟ فأنزل الله تعالى ( إن المسلمين والمسلمات ) (طريق أخرى) قال سفیان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : قالت أم سلمة رضي الله عنها يا رسول الله يذكر الرجال ولا نذكر فأنزل الله تعالى ( إن المسلمين والمسلمات ) الآية (حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب قال حدثنا سنان<sup>(١)</sup> بن مظاهر العمري حدثنا أبو كدينة يحيى بن المهلب عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النساء للنبي صلى الله عليه وسلم : ماله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات فأنزل الله تعالى ( إن المسلمين والمسلمات ) الآية وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال دخل نساء على نساء النبي ﷺ فقلن قد ذكر كن الله تعالى في القرآن ولم نذكر بهىء أما فينا ما يذكر ؟ فأنزل الله تعالى ( إن المسلمين والمسلمات ) الآية فقوله تعالى ( إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ) دليل على أن الإيمان غير الإسلام وهو أخص منه لقوله تعالى ( قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ) وفي الصحيحين « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » فيسلبه الإيمان ولا يلزم من ذلك كفره باجماع المسلمين فدل على أنه أخص منه كما قرناه أول في شرح البخارى . وقوله تعالى ( والقانتين والقانتات ) القنوت هو الطاعة في سكون ( أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ) وقال تعالى ( وله من في السماوات والأرض كل له قانتون ) ( يا مريم ائنتى لربك واسجدى واركمى مع الراكعين ) (وقوموا لله قانتين) فالإسلام بعده مرتبة يرتقى إليها وهو الإيمان ثم القنوت ناشئ عنهما ( والصادقين والصادقات ) هذا في الأقوال فإن الصدق خصلة محمودة ولهذا كان بعض الصحابة رضي الله عنه لم تجرب عليه كذبة لافى الجاهلية ولا فى الإسلام ، وهو علامة على الإيمان كما أن الكذب أماره على النفاق ، ومن صدق نجا، عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار . ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً والأحاديث فيه كثيرة جداً ( والصابرين والصابرات ) هذه سجية الأنبياء وهى الصبر على الصائب والعلم بأن المقدر كائن لا محالة وتلقى

(١) الذى فى تفسير ابن جرير سيار بن مظاهر المعزى وهو الموافق لما فى تهذيب .

ذلك بالصبر والثبات وإنما الصبر عند الصدمة الأولى ، أى أصعبه في أول وهلة ثم ما بعده أسهل منه وهو صدق السجدة وثباتها ( والحاشعين والحاشعات ) الخشوع : السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه الخوف من الله تعالى ومراقبته كما في الحديث « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ( والمتصدقين والتصدقات ) الصدقة هى الاحسان إلى الناس المحاييج الضعفاء الذين لا كسب لهم ولا كاسب يعطون من فضول الأموال طاعة لله وإحسانا إلى خلقه وقد ثبت في الصحيحين « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - فذكر منهم - ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وفي الحديث الآخر « والصدقة تطفيء الحطيطه كما يطفىء الماء النار » والأحاديث فى الحث عليها كثيرة جداً له موضع بذاته ( والصائمين والصائمات ) فى الحديث الذى رواه ابن ماجه « والصوم زكاة البدن » أى يزكيه ويطهره وينقيه من الأخلاط الرديئة طبعاً وشرعاً كما قال سعيد بن جبير من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر دخل فى قوله تعالى ( والصائمين والصائمات ) ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة كما قال رسول الله ﷺ « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » ناسب أن يذكر بعده ( والحافظين فروجهم والحافظات ) أى عن المحارم والمآثم إلا عن اللباح كما قال عز وجل ( والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ) وقوله تعالى ( والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا محمد بن جابر عن على بن الأقرع عن الأغر أبى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات » وقد رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث الأعمش عن الأغر أبى مسلم عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن طهيمه حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال قلت يا رسول الله أى العباد أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة ؟ قال ﷺ « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » قال قلت يا رسول الله ومن الغاوى فى سبيل الله تعالى ؟ قال « لوضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه » وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة فأتى على جمدان فقال « هذا جمدان سيروا فقد سبق الفردون » قالوا وما الفردون ؟ قال صلى الله عليه وسلم « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » ثم قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين قال « والمقصرين » تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم دون آخره وقال الإمام أحمد حدثنا حجين بن الليثى حدثنا عبد العزيز بن أبى سلمة عن زياد بن أبى زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة قال إنه بلغنى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما عمل آدمى عملاً قط أتجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل » وقال معاذ رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من تعاطى الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم « ذكر الله عز وجل » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن طهيمه حدثنا زيان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجمعى عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن رجلاً سأله فقال أى المجاهدين أعظم أجراً يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله تعالى ذكراً » قال فأبى الصائمين أكثر أجراً ؟ قال صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله عز وجل ذكراً » ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة . كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثرهم لله ذكراً » فقال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أجل » . وسند ذكر إن شاء الله تعالى بقية الأحاديث

الواردة في كثرة الله ذكر عند قوله تعالى في هذه السورة ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً ) الآية إن شاء الله تعالى ، وقوله تعالى ( أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ) خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أي أن الله تعالى قد أعد لهم أي هياً لهم مغفرة منه لتوبهم وأجراً عظيماً وهو الجنة

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾

قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ) الآية وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها فخطبها فقالت لست بنا كحخته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بلى فانكحيه » قالت يا رسول الله أوامر في نفسي؟ فيبناهما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ) الآية قالت قد رضيت له يا رسول الله منكحاً؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قالت إذا لا أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحته نفسي وقال ابن لميعة عن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة رضي الله عنه فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله تعالى ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ) الآية كلها وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل ابن حيان أنها نزلت في زينب بنت جحش رضي الله عنها حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فامتعت ثم أجابت . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها وكانت أول من هاجر من النساء يعني بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه يعني والله أعلم بعد فراقه زينب فسخطت هي وأخوها وقالوا إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده قال فنزل القرآن ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ) إلى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) قال فذاك خاص وهذا أجمع وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال خطب النبي ﷺ على جلييب امرأة من الأنصار إلى أبيها فقال حتى أستأمر أمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم « فنعلم إذا » قال فانطلق الرجل إلى امرأته فذكر ذلك لها فقالت لاها الله إذن ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جلييباً وقد منعناها من فلان وفلان قال والجارية في - ترها تسمع قال فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . فقالت الجارية أتريدون أن تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه إن كان قد رضيه لكم فانكحوه قال فكأنها جلت عن أبيها وقالت صدقت فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت رضيت فقد رضينا قال صلى الله عليه وسلم « فاني قد رضيت » قال فزوجها ثم فرغ أهل المدينة فركب جلييب فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم قال أنس رضي الله عنه فلقد رأيتها وإنما لم اتفق بيت بالمدينة . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد يعني ابن سلمة عن ثابت عن كنانة بن نعيم الجهدي عن أبي برزة الأسدي قال إن جلييباً كان امرأ يدخل على النساء يمرهن ويلاعهن فقلت لامرأتي لا تدخلن عليكن جلييباً فإنه إن دخل عليكن لأفعلن ولأفعلن قالت وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم هل للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار « زوجني ابنتك » قال نعم وكرامة يا رسول الله ونعمة عين فقال صلى الله عليه وسلم « إني لست أريدها لنفسى » قال فمن يارسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم « لجلييب » فقال يارسول الله أشاور أمها فأتى أمها فقال رسول الله ﷺ يخطب ابنتك فقالت نعم ونعمة عين فقال إنه ليس

يخطبها لنفسه إنا يخطبها جليليب فقالت: أجليليب، ابنه أجليليب ابنه؟ إلا لعمر الله لا تزوجه، فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول الله ﷺ فيخبره بما قالت أمها قالت الجارية من خطبتي إليكم فأخبرتها أمها قالت أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ادفعوني إليه فانه لن يضيعني فانطلق أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شأنك بها فزوجها جليليبا قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة له فلما أفاء الله عليه قال لأصحابه رضى الله عنهم « هل تفقدون من أحد؟ » قالوا نفقد فلانا ونفقد فلانا قال صلى الله عليه وسلم « انظروا هل تفقدون من أحد؟ » قالوا لا قال صلى الله عليه وسلم « لكنني أفقد جليليبا » قال صلى الله عليه وسلم « فاطلبوه في القتلى » فطلبوه فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فقالوا يا رسول الله ها هو ذا إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عليه فقال « قتل سبعة وقتلوه هذا مني وأنا مني » مرتين أو ثلاثا ثم وضعه رسول صلى الله عليه وسلم على ساعديه وحفر له ماله سرير إلا ساعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم وضعه في قبره ولم يذكر أنه غسله رضى الله عنه قال ثابت رضى الله عنه فما كان في الأنصار أيم أنفق منها وحدث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابتا هل تعلم ما دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قال « اللهم صب عليها صبا ولا تجعل عيشها كذا » وكذا كان فما كان في الأنصار أيم أنفق منها هكذا أورده الإمام أحمد بطوله وأخرج منه مسلم والنسائي في الفضائل قصة قتله وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب أن الجارية لما قالت في خدرها أتردون على رسول الله ﷺ أمره نزلت هذه الآية ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ) وقال ابن جريج أخبرني عامر بن مصعب عن طاوس قال إنه سأل ابن عباس عن ركتين بعد العصر فنهاه وقرأ ابن عباس رضى عنه الله ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ) فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأى ولا قول كما قال تبارك وتعالى ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ) وفي الحديث « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال ( ومن يعص الله ورسوله فقد ضللا مبينا ) كقوله تعالى ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم )

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قُضِيَ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرَا زَوْجُكَهَا لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال لمولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه وهو الذى أنعم الله عليه أى بالإسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ( وأنعمت عليه ) أى بالعتق من الرق وكان سيذا كبير الشأن جليل القدر حبيبا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقال له الحب ويقال لابنه أسامة الحب ابن الحب قالت عائشة رضى الله عنها ما بعته رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية إلا أمره عليهم، ولو عاش بعده لا استخلفه، رواه الإمام أحمد عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد عن وائل بن داود عن عبد الله البهي عنها . وقال البزار حدثنا خالد بن يوسف حدثنا أبو عوانة ح وحدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا أبو عوانة أخبرني عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال حدثني أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : كنت في المسجد فأتاني العباس وطلبي بن أبي طالب رضى الله عنهما فقالا يا أسامة استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقلت : على العباس يستأذنان فقال صلى الله عليه وسلم « أتدرى ما حاجتهما؟ » قلت لا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم

«لكنى أدري» قال فأذن لها قال يا رسول الله جئناك لتخبرنا أى أهلك أحب إليك؟ قال صلى الله عليه وسلم «أحب أهلى إلى فاطمة بنت محمد» قال يا رسول الله ما نسألك عن فاطمة، قال صلى الله عليه وسلم «فأسامة بن زيد بن حارثة الذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه» وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية رضى الله عنها وأما أميمة بنت عبد المطلب وأصدقها عشرة دنانير وستين درهما وخمرا وملحفة ودرعا وخمسين مدا من طعام وعشرة أمداد من تمر قاله مقاتل بن حيان، فمكثت عنده قريبا من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له «أمسك عليك زوجك واتق الله» قال الله تعالى (وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير هاهنا آثارا عن بعض السلف رضى الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها. وقد روى الإمام أحمد ههنا أيضا حديثا من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضى الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضا. وقد روى البخارى أيضا بعضه مختصرا فقال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا يعلى ابن منصور عن حماد بن زيد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال إن هذه الآية (وتخفى في نفسك ما الله مبديه) نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضى الله عنهما. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حنيفة بن هاشم ابن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن طي بن زيد بن جدعان قال سألت طي بن الحسين رضى الله عنهما ما يقول الحسن في قوله تعالى (وتخفى في نفسك ما الله مبديه) فذكرت له فقال لا ولكن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه زيد رضى الله عنه ليشكوها إليه قال «اتق الله وأمسك عليك زوجك» فقال: قد أخبرتك أنى مزوجكها وتخفى في نفسك ما الله مبديه. وهكذا روى عن السدى أنه قال نحو ذلك

وقال ابن جرير حدثني إسحق بن شاهين حدثني خالد عن داود عن عامر عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: لو كنتم محمد صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى إليه من كتاب الله تعالى لكم (وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) وقوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) الوطر هو الحاجة والأرب أى لما فرغ منها وفارقها زوجناكها وكان الذى ولى تزويجها منه هو الله عز وجل بمعنى أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولى ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر، قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم أخبرنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال لما انقضت عدة زينب رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة «أذهب فاذكرها طي» فانطلق حتى أتاه وهو تخمر عجبها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها وأقول إن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري ونكصت طي عني وقلت يا زينب أبشري أرسلنى رسول الله ﷺ يذكرك، قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربى عز وجل فقامت إلى مسجدنا ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن، ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطمعنا عليها الحبز واللحم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل صلى الله عليه وسلم يتبع حجر نساءه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟ فأدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبر فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) الآية كلها ورواه مسلم والنسائي من طرق عن سليمان بن المغيرة به، وقد روى البخارى رحمه الله عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال إن زينب بنت جحش رضى الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول زوجكن أهاليكن وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سموات وقد قدمنا في سورة النور عن محمد بن عبد الله بن جحش قال تفاخرت زينب وعائشة رضى الله عنهما فقالت زينب رضى الله عنها أنا التى نزل تزويجى من السماء، وقالت عائشة رضى الله عنها أنا التى نزل عذرى من السماء فاعترفت لها زينب رضى الله عنها وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن المغيرة عن الشعبي قال: كانت

زينب رضى الله عنها تقول للنبي صلى الله عليه وسلم إني لأدل عليك بثلاث: ما من نساءك امرأة تدل بهن : إن جدى وجدك واحد ، وإنى أنكحنيك الله عزوجل من السماء ، وإن السفير حبريل عليه الصلاة والسلام . وقوله تعالى (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً) أى إنما أبغناك تزويجها وفعلنا ذلك لتلايقى حرج على المؤمنين في تزويج المطلقات الأدعياء وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة قد تبنى زيد ابن حارثة رضى الله عنه فكان يقال له زيد بن محمد فلما قطع الله تعالى هذه النسبة بقوله تعالى (وما جعل أدعياءكم أبناءكم - إلى قوله تعالى - ادعواهم لأبائهم هو أقسط عند الله ) ثم زاد ذلك بياناً وتأكيداً بوقوع تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش رضى الله عنها لما طلقتها زيد بن حارثة رضى الله عنه ، ولهذا قال تعالى في آية التحريم (وحلائل الذين من أصلابكم) ليحترز من الابن الدعى فان ذلك كان كثيراً فيهم . وقوله تعالى (وكان أمر الله مفعولاً) أى وكان هذا الأمر الذى وقع قد قدره الله تعالى وحتمه وهو كائن لا محالة ، كانت زينب رضى الله عنها في علم الله ستصير من أزواج النبي ﷺ

﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾  
يقول تعالى ( ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ) أى فيما أحله وأمره به من تزويج زينب رضى الله عنها التى طلقها دعيه زيد بن حارثة رضى الله عنه وقوله تعالى (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) أى هذا حكم الله تعالى فى الأنبياء قبله لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم فى ذلك حرج وهذا رد عن من توهم من المناقذين نقصا فى تزويجه امرأة زيد مولاه ودعيه الذى كان قد تنبأه ( وكان أمر الله قدرا مقدورا ) أى وكان أمره الذى يقدره كائنا لا محالة وواقعا لا محيد عنه ولا معدل لما شاء كان وما لم يشأ لم يكن

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ \* مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿

يمدح تبارك وتعالى (الذين يبلغون رسالات الله) أى إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها (ويخشونه) أى يخافونه ولا يخافون أحدا سواهم فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالى (وكفى بالله حسيبا) أى وكفى بالله ناصرًا ومعينا ، وسيد الناس فى هذا اللقاه بل وفى كل مقام محمد رسول الله ﷺ فانه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب إلى جميع أنواع بنى آدم وأظهر الله تعالى كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع فانه قد كان النبي قبله إنما يبعث إلى قومه خاصة ، وأما هو صلى الله عليه وسلم فانه بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) ثم ورث مقام البلاغ عنه أئمة من بعده فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه رضى الله عنهم بلغوا عنه كما أمرهم به فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله فى ليله ونهاره وحضره وسفره وسره وعلايته فرضى الله عنهم وأرضاهم ثم ورثة كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا فبنورهم يقتدى المهتدون وعلى منهمجهم يسلك الموقنون فنسأل الله الكريم اللبان أن يجعلنا من خلفهم . قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير أخبرنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى البختري عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه مقال ثم لا يقوله فيقول الله ما يمنعك أن تقول منه فيقول رب خشيت الناس فيقول فأنا أحق أن يخشى » ورواه أيضا عن عبد الرزاق عن الثورى عن زيد عن عمرو بن مرة ، ورواه ابن ماجه عن أبى كريب عن عبد الله بن نمير وأبى معاوية كلاهما عن الأعمش به . وقوله تعالى ( ما كان محمد أباً أحدا من رجالكم) نهى أن يقال بعد هذا زيد بن محمد أى لم يكن أباه وإن كان قد تنبأه فانه صلى الله عليه وسلم لم يعيش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم ، فإنه صلى الله عليه وسلم وله له القاسم والطيب والظاهر

من خديجة رضى الله عنها فأتوا صغارا ، وولد له صلى الله عليه وسلم إبراهيم من مارية القبطية فمات أيضا رضيا وكان له صلى الله عليه وسلم من خديجة أربع بنات : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضى الله عنهم أجمعين فمات في حياته صلى الله عليه وسلم ثلاث وتأخرت فاطمة رضى الله عنها حتى أصيبت به صلى الله عليه وسلم ثم ماتت بعده لسته أشهر وقوله تعالى ( ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ) كقوله عز وجل ( الله أعلم حيث يجعل رسالته ) فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأخرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فان كل رسول نبي ولا ينعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، قال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثلى في النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنه لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبيان ويعجبون منه ويقولون لولم يوضع هذه اللبنة ؟ فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة » ورواه الترمذى عن بندار عن أبي عامر المقدى به وقال حسن صحيح ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا المختار ابنلفل حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبي » قال فشق ذلك على الناس فقال « ولكن البشريات » قالوا يا رسول الله وما البشريات ؟ قال « رؤيا الرجل للمسلم وهي جزء من أجزاء النبوة » وهكذا رواه الترمذى عن الحسن بن محمد الزعفرانى عن عفان بن مسلم به وقال صحيح غريب من حديث المختار بنلفل

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود الطيالسى حدثنا سليم بن حيان عن سعيد بن مينا عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنه فكان من دخلها فنظر إليها قال ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة فأنا موضع اللبنة ختم بي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » ورواه البخارى ومسلم والترمذى من طرق عن سليم بن حيان به وقال الترمذى صحيح غريب من هذا الوجه ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلى ومثل النبيين كمثل رجل بنى دارا فأتمها إلا لبنة واحدة فبحث أنا فأتممت تلك اللبنة » انفرد به مسلم من رواية الأعمش به . ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا حماد بن زيد حدثنا عثمان بن عبيد الراسى قال سمعت أبا الطفيل رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا نبوة بعدى إلا البشريات » قيل وما البشريات يا رسول الله قال « الرؤيا الحسنة » - أو قال - « الرؤيا الصالحة » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل ابقى بيوتا فأكملها وأحسنها وأجملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البيان ويقولون ألا وضعت ههنا لبنة فيتم ببيتناك - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فكنت أنا اللبنة » أخرجه من حديث عبد الرزاق ﴿ حديث آخر ﴾ عن أبي هريرة رضى الله عنه أيضا قال الإمام مسلم حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وطى بن حجير قالوا حدثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الفنائم ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، وأرسلت لى الخلق كافة ، وختم لى النبيون » ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث إسماعيل بن جعفر وقال الترمذى حسن صحيح ﴿ حديث آخر ﴾ وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فأتمها إلا موضع لبنة واحدة فبحث أنا فأتممت تلك اللبنة » ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب

كلاهما عن أبي معاوية به ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح حدثنا سعيد بن سويد الكلبى عن عبد الأعلى بن هلال السلمى عن العرابض بن سارية رضى الله عنه قال : قال لى النبي صلى الله عليه وسلم « إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمجدل في طينته » ( حديث آخر ) قال الزهرى أخبرنى محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لى أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله تعالى بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب الذى ليس بعده نبي » أخرجه فى الصحيحين . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لميعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن ابن جبير قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً كالمودع فقال « أنا محمد النبي الأسمى - ثلاثاً - ولا نبي بعدى ، أتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش ، وتجاوز بى ، وعوفيت وعوفيت أمتى ، فاسمعوا وأطيعوا مادمت فيكم ، فإذا ذهب بى فعليكم بكتاب الله تعالى أحوا حلاله وحرموا حرامه » تفرد به الإمام أحمد

ورواه الإمام أحمد أيضاً عن يحيى بن إسحاق عن ابن لميعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن شريح الخولانى عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهم فاذا كرم الله سواه والا حديث فى هذا كثيرة ، فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الخفيف له ، وقد أخبر الله تبارك وتعالى فى كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم فى السنة المتواترة عنه أنه لاني بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا اللقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ، ولو تخرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والثيرنجيات فكلمها محال وضلال عند أولى الألباب كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسى باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذى لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يحنتموا بالمسيح الدجال ، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه فانهم بضرورة الواقع لا يأمرؤن بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على شبلل الاتفاق أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره ويكون فى غاية الافك والفجور فى أقوالهم وأفعالهم كما قال تعالى ( هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل كل أفاك أئيم ) الآية وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم فى غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرؤن به وينهون عنه ، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات فصلوات الله وسلامه عليهم دائماً مستمراً مادامت الأرض والسموات

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبَّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا \* هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَنَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا \* تَجِيئُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامًا وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾

يقول تعالى أمرا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تبارك وتعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن لما لهم فى ذلك من جزيل الثواب ، وجميل اللآب . قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن سعيد حدثنى مولى ابن عباس عن أبي بجرية عن أبي الدراء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فنضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم » قالوا وما هو يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « ذكر الله

عز وجل « وهكذا رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبدالله بن سعيد بن أبي هند عن زياد مولى ابن عباس عن أبي بجرية واسمه عبدالله بن قيس البراعشى عن أبي الدرداء رضى الله عنه به ، قال الترمذى ورواه بعضهم عنه فأرسله ، قلت وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى ( والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ) فى مسند الإمام أحمد من حديث زياد بن أبي زياد مولى عبدالله بن عباس أنه بلغه عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ بنحوه فآله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا روح بن فضالة عن أبي سعيد الخصى قال : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول : دعاء سمعته من رسول الله ﷺ لا أدعه : اللهم اجعلنى أعظم شكرك وأتبع نصيحتك وأكثر ذكرك وأحفظ وصيتك ورواه الترمذى عن يحيى بن موسى عن وكيع عن أبي فضالة الفرج بن فضالة عن أبي سعيد الخصى عن أبي هريرة رضى الله عنه فذكر مثله وقال غريب وهكذا رواه الإمام أحمد أيضا عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن فرج بن فضالة عن أبي سعيد المرى عن أبي هريرة رضى الله عنه فذكره . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس قال سمعت عبد الله بن بشر يقول جاء أعرابيان إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما يا رسول أى الناس خير ؟ قال صلى الله عليه وسلم « من طال عمره وحسن عمله » وقال الآخر يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا فممنى بأمر أتشبهت به قال صلى الله عليه وسلم « لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى » وروى الترمذى وابن ماجه الفصل الثانى من حديث معاوية بن صالح به ، وقال الترمذى حديث حسن غريب . وقال الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث قال : إن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون » . وقال الطبرانى حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عقبه بن مكرم العمى حدثنا سعيد بن سفين الجحدري حدثنا الحسن بن أبي جعفر عن عقبه بن أبي شبيب الراسبي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « اذكروا الله ذكرا » حتى يقول المناقون إنكم تراءون » ، وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي سمعت أبا الوائز جابر بن عمرو يحدث عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « مامن قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه إلا رآوه حسرة يوم القيامة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ( اذكروا الله ذكرا كثيرا ) إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال العذر غير الله كره فان الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهى إليه ولم يعذر أحدا فى تركه إلا مغلوبا على تركه فقال ( اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ) بالليل والنهار فى البر والبحر ، وفى السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال . وقال عز وجل ( وسبحوه بكرة وأصيلا ) فاذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته ، والأحاديث والآيات والآثار فى الحث على ذكر الله تعالى كثيرة جدا وفى هذه الآية الكريمة الحث على الاكثار من ذلك . وقد صنف الناس فى الأذكار المتعلقة بآناء الليل والنهار كالنساءى والعمري وغيرهما . ومن أحسن الكتب المؤلفة فى ذلك كتاب الأذكار للشيخ محيى الدين النووى رحمه الله وقوله تعالى ( وسبحوه بكرة وأصيلا ) أى عند الصباح والمساء كقوله عز وجل ( فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون \* وله الحمد فى السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون ) وقوله تعالى ( هو الذى يصلى عليكم وملائكته ) هذا تهيب إلى الله كره أى أنه سبحانه يذكركم فاذا كروه أتم كقوله عز وجل ( كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون \* فاذا كرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون ) وقال النبى ﷺ « يقول الله تعالى من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منه » والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند الملائكة حكاة البخارى عن أبي العالية ورواه أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عنه ، وقال غيره الصلاة من الله عز وجل الرحمة . وقد يقال

لا منافاة بين القولين والله أعلم ، وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار كقوله تبارك وتعالى (الدين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمدهم ويؤمنون به ويستغفرون للدين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم \* ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم \* وقهم السيئات ) الآية . وقوله تعالى ( ليخرجكم من الظلمات إلى النور ) أي بسبب رحمته بكم وثباته عليكم ودعاء ملائكته لكم يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين ( وكان بالمؤمنين رحيما ) أي في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فانه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم وبصرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عنه من سواهم من الدعاء إلى الكفر أو البدعة وأتباعهم من الطغام ، وأما رحمته بهم في الآخرة فآمنهم من الفزع الأكبر وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار وما ذاك إلا لحنه لهم ورأفته بهم قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد بن أنس رضي الله عنه قال : مر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه رضي الله عنهم وصبي في الطريق فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسعى وتقول : ابني ، ابني وسعت فأخذته فقال القوم يا رسول الله ما كانت هذه لتلقى ابنها في النار قال فخفضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « لا ، والله لا يلقى حبيبه في النار » إسناده على شرط الصحيحين ولم يخرجها أحد من أصحاب الكتب الستة ، ولكن في صحيح الإمام البخاري عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبي قد أخذت صبيا لها فألصقته إلى صدرها وأرضعته فقال رسول الله ﷺ « أترون هذه تلقي ولدها في النار وهي تقدر على ذلك ؟ » قالوا لا قال رسول الله ﷺ فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها . وقوله تعالى ( تحيتهم يوم يلقونه سلام ) الظاهر أن المراد والله أعلم تحيتهم أي من الله تعالى يوم يلقونه سلام أي يوم يسلم عليهم كما قال عز وجل ( سلام قولا من رب رحيم ) وزعم قتادة أن المراد أنهم يحيى بعضهم بعضا بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة ، واختاره ابن جرير : [ قلت ] وقد يستدل بقوله تعالى ( دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحيتهم فيها سلام ) وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ) . وقوله تعالى ( وأعد لهم أجرا كريما ) يعنى الجنة وما فيها من الماء كل والشارب والملابس والسكن والملاذح والناظر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا وَبَشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ بَأَن لَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا \* وَلَا تَطِعِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ( يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ) وحرزا للأمين أنت عدي ورسولي ، مبيتك التوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن ينفو ويصفح ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وقد رواه البخاري في البيوع عن محمد بن سنان عن فليح بن سليمان عن هلال بن علي . ورواه في التفسير عن عبد الله قيل ابن رجاء وقيل ابن صالح عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو به . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبد الله بن رجاء عن عبد العزيز بن أبي سلمة الملاجشون به .

وقال البخاري في البيوع وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه ، وقال وهب بن منبه إن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له شعيا : أن قم في قومك بني إسرائيل فاني منطلق لسانك بوحي وأبثت أسيا من الأميين ، أبشبه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، لو يمر إلى جنب سراج لم يطفئه من

سكينته ، ولو يمشى على القصب لم يسمع من تحت قدميه أبشع مبشرا ونذيرا لا يقول الحنا ، أفتح به أعينا كرها وآذانا صا وقلوبا غلفا ، أسدده لكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة منطقته ، والصدق والوفاء طبيعته ، والفضو والمعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلال ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأعرف به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين أمم متفرقة وقلوب مختلفة . وأهواء متشتتة ، وأستنقذ به فتاما من الناس عظيمة من الهلكة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، موحدون مؤمنين مخلصين ، مصدقين لما جاءت به رسلي ؛ المهتمم التسييح والتحميد ، والثناء والتكبير والتوحيد ، في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثوام يصلون لي قياما وقعودا ويقفون في سبيل الله صفوفا وزحوفا ، ويخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاتي ألوفا ، يطهرون الوجوه والأطراف ويشدون الثياب في الأنصاف ، قربانهم دماؤهم . وأناجيلهم في صدورهم ، رهبان بالليل ليوث بالتهار ، وأجعل في أهل بيته وذريته السابقين ، والصدقيين والشهداء والصالحين ، أمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون ، وأعز من نصرهم وأؤيد من دعا لهم ، وأجعل دائرة السوء على من خالفهم ، أو بنى عليهم أو أراد أن ينتزع شيئا مما في أيديهم ، أجعلهم ورثة لنبيهم ، والداعية إلى ربهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم أختم بهم الخير الذي بدأته بأولهم ، ذلك فضلي أوتيته من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم . هكذا رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه الجاني رحمه الله . ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله القرشي عن شيبان النحوي أخبرني قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت ( يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ) وقد كان أمر عليا ومعاذ رضي الله عنهما أن يسيرا إلى اليمن فقال « انطلقا فبشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، إنه قد أنزل على ( يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ) » ورواه الطبراني عن محمد بن نصر بن حميد البرار البغدادي عن عبد الرحمن بن صالح الأزدي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العزمي بإسناده مثله ، وقال في آخره « فانه قد أنزل على ( يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا على أمتك ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار وداعيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله بإذنه وسراجا منيرا بالقرآن » . فقوله تعالى ( شاهدا ) أي لله بالوحدانية ، وأنه لا إله غيره وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كقولهم ( لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، وقوله عز وجل ( ومبشرا ونذيرا ) أي بشيرا للمؤمنين بجزييل الثواب ونذيرا للكافرين من وييل العقاب . وقوله جلوت عظمته ( وداعيا إلى الله بإذنه ) أي داعيا للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك ( وسراجا منيرا ) أي وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها لا يجدها إلا معانده . وقوله جل وعلا ( ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أدام ) أي لا تطعمهم وتسمع منهم في الذي يقولونه ( ودع أدام ) أي اصمح وتجاوز عنهم وكل أمرهم إلى الله تعالى فان فيه كفاية لهم ولهذا قال جل جلاله ( وتوكل على الله وكفى بالله وكيل )

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾

هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة منها إطلاق النكاح على العقد وحده وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها ، وقد اختلفوا في النكاح هل هو حقيقة في العقد وحده أو في الوطء أو فيهما ؟ على ثلاثة أقوال ، استعمال القرآن إنما هو في العقد والوطء بعده إلا في هذه الآية فانه استعمال في العقد وحده لقوله تبارك وتعالى ( إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ) وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها وقوله تعالى ( المؤمنات ) خرج

مخرج الغالب إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتانية في ذلك بالاتفاق وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد ابن المسيب والحسن البصري وطى بن الحسين زين العابدين وجماعة من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح لأن الله تعالى قال ( إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ) فعقب النكاح بالطلاق فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله وهذا مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من السلف والخلف رحمهم الله تعالى ، وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى إلى صحة الطلاق قبل النكاح فيما إذا قال إن تزوجت فلانة فهي طالق ، فأنها متى تزوجها طلقت منه ، واختلفا فيما إذا قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق فقال مالك لا تطلق حتى يعين المرأة . وقال أبو حنيفة رحمه الله كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه فأما الجمهور فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور المروزي حدثنا النضر بن شميل حدثنا يونس بن يعقوب عن أبي إسحاق قال سمعت آدم مولى خالد بن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما . قال إذا قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق قال ليس بشيء من أجل أن الله تعالى يقول ( يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ) الآية وحدثنا محمد بن إسحاق الأحمسي حدثنا وكيع عن مطر عن الحسن بن مسلم بن يثاق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إنما قال الله عز وجل ( إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ) ألا ترى أن الطلاق بعد النكاح وهكذا روى محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال الله تعالى ( إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ) فلا طلاق قبل النكاح وقد ورد الحديث بذلك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا طلاق لابن آدم فيم لا يملك رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ، وقال الترمذي هذا حديث حسن وهو أحسن شيء روى في هذا الباب ، وهكذا روى ابن ماجه عن طى والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا طلاق قبل النكاح » ، وقوله عز وجل ( قالكم عليهن من عدة تعتدونها ) هذا أمر يجمع عليه بين العلماء أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها لا عدة عليها فتذهب فتزوج في فورها (١) من شاءت ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها فانها تعتد منه أربعة أشهر وعشراً وإن لم يكن دخل بها بالاجماع أيضا ، وقوله تعالى ( فمتوهن وسرحوهن سراحا جميلا ) التمتع ههنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمى أو التمتع الخاصة إن لم يكن قد سمى لها . قال الله تعالى ( وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ) وقال عز وجل ( لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوهن فريضة ومتوهن على الوسع قدره وطي التمتع قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين ) وفي صحيح البخارى عن سهل بن سعد وأبي أسيد رضي الله عنهما قالا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أميمة بنت شراحيل فلما أن دخلت عليه صلى الله عليه وسلم بسط يده إليها فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقين ، قال طى ابن أبي طلحة رضي الله عنهما إن كان ممي لها صداقا فليس لها إلا النصف ، وإن لم يكن ممي لها صداقا أمتها على قدر عمره ويسره وهو السراح الجميل

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأُمَّرَةَ مُؤْمِنَةٍ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

يقول تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهرا وهى الأجور

(١) فى النسخة السكية : فى قرئتها .

هنا كما قاله مجاهد وغير واحد وقد كان مهره لنسائه اثنتي عشرة أوقية ونشر وهو نصف أوقية فالجميع خمسمائة درهم  
إلا أم حبيبة بنت أبي سفيان فإنه أمرها عنه النجاشي رحمه الله تعالى أربع مائة دينار وإلا صفية بنت حيي فإنه اصطفاها  
من سبي خيبر ثم أعتقها وجعل عتقها صداقها ، وكذلك جويرية بنت الحارث المصطلقية أدى عنها كتابتها إلى ثابت بن  
قيس بن شماس وتزوجها مرضى الله عنهن أجمعين - وقوله تعالى ( وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك ) أي وأباح لك  
التسرى مما أخذت من الغنائم وقد ملك صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما ، وملك ريحانة بنت شمعون النضرية  
ومارية القبطية أم ابنه إبراهيم عليهما السلام وكاتتا من السراري رضى الله عنهما وقوله تعالى ( وبنات عمك وبنات  
عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك ) الآية هذا عدل وسط بين الإفراط والتفريط فإن النصارى لا يتزوجون المرأة  
إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعدا ، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته ، فجاءت هذه الشريعة  
الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارى فأباح بنت العم والعمة ، وبنت الحمال والحالة وتخريم ما فرطت فيه اليهود من  
إباحة بنت الأخ والأخت وهذا شنيع فظيع ، وإنما قال ( وبنات عمك وبنات عمتك وبنات خالك وبنات خالاتك )  
فوحده لفظ الله كره لشرفه وجمع الإناث لتقصين كقوله ( عن اليمين والشمال ) ( يخرجهم من الظلمات إلى النور ) ( وجعل  
الظلمات والنور ) وله نظائر كثيرة وقوله تعالى ( اللاتي هاجرن معك ) قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عمار  
ابن الحارث الرازي حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هانئ قالت خطبني  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعدرتني ، ثم أنزل الله تعالى ( إنا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت  
أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليه وبنات عمك وبنات عمتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي  
هاجرن معك فلم أكن أحل له ولم أكن ممن هاجر معه كنت من الطلقاء . ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن  
عبيد الله بن موسى به ثم رواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عنها بنحوه ، ورواه الترمذي  
في جامعه . وهكذا قال أبو رزين وقتادة إن المراد من هاجر معه إلى المدينة . وفي رواية عن قتادة ( اللاتي هاجرن  
معك ) أي أسلمن ، وقال الضحاك قرأ ابن مسعود ( واللاتي هاجرن معك )

وقوله تعالى ( وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك ) الآية أي ويحل لك أيها  
النبي المرأة المؤمنة إن وهبت نفسها لك أن تزوجها بغير مهر إن شئت ذلك . وهذه الآية توالى فيها شرطان كقوله  
تعالى إخبارا عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه ( ولا ينفكمنكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن  
يعزيكم ) وكقول موسى عليه السلام ( يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ) وقال ههنا ( وامرأة  
مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ) الآية وقد قال الإمام أحمد حدثنا إسحاق أخبرنا مالك عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي  
أن رسول الله ﷺ جاءته امرأة فقالت يا رسول الله إني قد وهبت نفسي لك فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال  
يا رسول الله زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة ، فقال رسول الله ﷺ « هل عندك من شيء تصدقها إياه ؟ »  
فقال ما عندي إلا إزارى هذا ، فقال رسول الله ﷺ « إن أعطيتها إزارك جلست لا إزار لك فالتمس  
شيئا » فقال لا أجد شيئا ، فقال « التمس ولو خاتما من حديد » فالتمس فلم يجد شيئا ، فقال له النبي ﷺ « هل معك  
من القرآن شيء ؟ » قال نعم سورة كذا وسورة كذا - السور بسمها - فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « زوجتكها بما معك من  
القرآن » أخرجاه من حديث مالك وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا مرحوم سمعت ثابتا يقول : كنت مع أنس  
جالسا وعنده ابنة له فقال أنس جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت يا نبي الله هل لك في حاجة فقالت ابنته ما كان أقل  
حياها فقال « هي خير منك رغبت في النبي فعرضت عليه نفسها » انفرادا بخراجه البخاري من حديث مرحوم بن عبد العزيز  
عن ثابت البناني عن أنس به : وقال أحمد أيضا حدثنا عبد الله بن بكر حدثنا سنان بن ربيعة عن الحضرمي عن  
أنس بن مالك أن امرأة أمت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ابنة لى كذا وكذا فذكرت من حسنها وجالها  
فآثرتك بها فقال « قد قبلتها » فلم تزل تمدحها حتى ذكرت أنها لم تصدع ولم تشك شيئا قط فقال « لا حاجة لى في ابنتك »

لم يخرجوه ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا ابن أبي الوضاح يعني محمد بن مسلم عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة قالت التي وهبت نفسها للنبي ﷺ خولة بنت حكيم ، وقال ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن وابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه أن خولة بنت حكيم بن الاوقص من بني سليم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وفي رواية له عن سعيد بن عبد الرحمن عن هشام عن أبيه كنا نتحدث أن خولة بنت حكيم كانت وهبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة سالحة ، فيحتمل أن أم سليم هي خولة بنت حكيم أو هي امرأة أخرى ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب وعمر بن الحكم وعبد الله بن عبيدة قالوا : تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة امرأة ستا من قريش : خديجة وعائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة ، وثلاثا من بني عامر بن صعصعة وامرأتين من بني هلال بن عامر : ميمونة بنت الحارث وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وزينب أم الساكين ، وامرأة من بني بكر بن كلاب من القرظيات وهي التي اختارت الدنيا وامرأة من بني الجون وهي التي استعادت منه وزينب بنت جحش الأسدية ، والسيتين صفية بنت حيي ابن أخطب وجويرية بنت الحارث بن عمرو بن المصطلق الخزاعية ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس ( وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ) قال هي ميمونة بنت الحارث في انقطاع هذا مرسل والشهور أن زينب التي كانت تدعى أم الساكين هي زينب بنت خزيمة الأنصارية وقد ماتت عند النبي ﷺ في حياته فآله أعلم . والغرض من هذا أن اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ كثير كما قال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو أسامة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ وأقول : أهيب المرأة نفسها ؟ فلما أنزل الله تعالى ( ترجى من تشاء منهمن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ) قلت ما أرى ربك إلا يسارع في هواك وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن منصور الجعفي حدثنا يونس بن بكير عن غنبة بن الأزهر عن ممالك عن عكرمة عن ابن عباس قال لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن يونس بن بكير أي أنه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له وإن ذلك مباح له ومخصوصا به لأنه مردود إلى مشيئته كما قال الله تعالى ( إن أراد النبي أن يستنكحها ) أي إن اختار ذلك .

وقوله تعالى ( خالصة لك من دون المؤمنين ) قال عكرمة أي لا تحل للوهوبة لغيرك ولو ان امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتى يعطيا شيئا وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما أي انها إذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل فانه متى دخل بها وجب عليه لها مهر مثلها كما حكم به رسول الله ﷺ في تزويج بنت واشق لما فوضت فحكم لها رسول الله ﷺ بصدق مثلها لما توفي عنها زوجها والموت والدخول سواء في تقرير المهر وثبوت مهر الثلث في الفوضة لغير النبي ﷺ فأما هو عليه الصلاة والسلام فانه لا يجب عليه للفوضة شيء ولو دخل بها لأن له أن يتزوج بغير صدق ولا ولي ولا شهود كما في قصة زينب بنت جحش رضی الله عنها ولهذا قال قتادة في قوله ( خالصة لك من دون المؤمنين ) يقول ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر إلا للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ( قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم ) قال أبي بن كعب ومجاهد والحسن وقتادة وابن جرير في قوله ( قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم ) أي من حصرهم في أربع نسوة حرائر وما شاء وامن الإمام واشترط الولي والمهر والشهود عليهم وهم الأمة وقد رخصنا لك في ذلك فلم نوجب عليك شيئا منه ( لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما )

﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَحْرَمَ أَحِبَّهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضی الله عنها أنها كانت تغير من النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألا تستحي المرأة أن تعرض نفسها بغير صداق؟ فأنزل الله عز وجل (ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء) الآية قالت إني أرى ربك يسارع لك في هواك . وقد تقدم أن البخاري رواه من حديث أبي أسامة عن هشام بن عروة فدل هذا على أن المراد بقوله (ترجي) أي تؤخر (من تشاء منهن) أي من الواهيات (وتؤوي إليك من تشاء) أي من شئت قبلتها ومن شئت رددتها ، ومن رددتها فأنت فيها أيضا بالخيار بعد ذلك إن شئت عدت فيها فأويتها ولهذا قال (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) قال عامر الشعبي في قوله تعالى (ترجي من تشاء منهن) الآية كن نساء اوهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فدخل بعضهن وأرجأ بعضهن لم ينكحن بعده، منهن أم شريك ، وقال آخرون بل المراد بقوله (ترجي من تشاء منهن) الآية أي من أزواجك لا حرج عليك أن تترك القسم لمن تقدم من شئت وتؤخر من شئت وتجامع من شئت وتترك من شئت هكذا يروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبي رزین وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ، ومع هذا كان النبي ﷺ يقسم لمن ولهذا ذهب طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم إلى أنه لم يكن القسم واجبا عليه صلى الله عليه وسلم واحتجوا بهذه الآية الكريمة ، وقال البخاري حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله هو ابن المبارك أخبرنا عاصم الأحول عن معاذ عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يستأذن في اليوم للمرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية (ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) فقلت لها ما كنت تقولين؟ فقالت كنت أقول إن كان ذلك إلى فاني لا أريد يارسول الله أن أوثر عليك أحدا . فهذا الحديث عنها يدل على أن المراد من ذلك عدم وجود القسم وحديثها الأول يقتضى أن الآية نزلت في الواهيات ، ومن هنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهيات وفي النساء اللاتي عنده أنه غير فيهن إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم ، وهذا الذي اختاره حسن جيد قوى وفيه جمع بين الأحاديث ولهذا قال تعالى (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتن كلهن) أي إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم ، فإن شئت قسمت وإن شئت لم تقسم لا جناح عليك في أي ذلك فعلت ثم مع هذا أن تقسم لمن اختيارا منك لا أنه على سبيل الوجوب فرحن بذلك واستبشرون به وحملن جميلك في ذلك ، واعترفن بمتك عليهن في قسمتك لمن وتسويتك بينهن وإنصافك لمن وعدك فيهن . وقوله تعالى ( والله يعلم ما في قلوبكم ) أي من الليل إلى بعضهن دون بعض مما لا يمكن دفعه كما قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول « اللهم هذا فعلى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » ورواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن سلمة وزاد أبو داود بعد قوله « فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » معنى القلب . وإسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ولهذا عقب ذلك بقوله تعالى ( وكان الله عليا ) أي بضائر السرائر ( حلينا ) أي يحلم ويضفر .

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ  
وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾

ذكر غير واحد من العلماء كابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد وابن جرير وغيرهم أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضا عنهن على حسن صنعتهن في اختيارهن الله ورسوله والهار الآخرة لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في الآية ، فلما اخترن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جزاؤهن أن الله تعالى قصره عليهن وحرم عليه أن يزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن ولو أعجبه حسنهن إلا الإمام والسراير فلا حرج عليه فيهن ، ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك ونسخ

حكم هذه الآية ، وأباح له التزوج ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن عطاء عن عائشة رضي الله عنها قالت مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء ، ورواه أيضا من حديث ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة ، ورواه الترمذي والنسائي في سننهما ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبه حدثني عمر بن أبي بكر حدثني المغيرة بن عبد الرحمن الخزازي عن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله عن عبد الله بن وهب بن زمعة عن أم سلمة أنها قالت : لم يمت رسول الله ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم . وذلك قول الله تعالى (ترجي من تشاء ممنهن) الآية فجعلت هذه ناسخة للتي بعدها في التلاوة كما أتت عدة الوفاة في البقرة ، الأولى ناسخة للتي بعدها والله أعلم ، وقال آخرون بل معنى الآية (لا يحل لك النساء من بعد) أي من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي أحلنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وماملكت يمينك ، وبنات العم والعمات والحالات والواهبه وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك ، وهذا ما روى عن أبي بن كعب ومجاهد في رواية عنه وعكرمة والضحاك في رواية وأبي رزين في رواية عنه وأبي صالح والحسن وقتادة في رواية والسدي وغيرهم قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود بن أبي هند حدثني محمد بن أبي موسى عن زياد عن رجل من الأنصار قال قلت لأبي بن كعب أرأيت لو أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم توفين أما كان له أن يتزوج ؟ فقال وما يمنعه من ذلك ؟ قال قلت قول الله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد) فقال إنما أحل الله له ضربا من النساء فقال تعالى (يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك - إلى قوله تعالى - إن وهبت نفسها للنبي) ثم قيل له (لا يحل لك النساء من بعد) ورواه عبد الله بن أحمد من طرق عن داوديه ، وروى الترمذي عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات بقوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك) فأحل الله فتياتكم المؤمنات ، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي وحرم كل ذات دين غير الإسلام ثم قال (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) الآية وقال تعالى (يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن - إلى قوله تعالى - خالصة لك من دون المؤمنات) وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء ، وقال مجاهد (لا يحل لك النساء من بعد) أي من بعد ما سمى لك لا مسلمة ولا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ، وقال أبو صالح (لا يحل لك النساء من بعد) أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا عريية ويتزوج بعد من نساء تهامة وما شاء من بنات العم والعمة والحالة إن شاء ثلاثمائة ، وقال عكرمة (لا يحل لك النساء من بعد) أي التي سمى الله ، واختار ابن جرير رحمه الله أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء ، وفي النساء اللواتي في عصمته وكن تسعا ، وهذا الذي قاله جيد ولعله مراد كثير ممن حكينا عنه من السلف فإن كثيرا منهم روى عنه هذا وهذا ولا منافاة والله أعلم . ثم أورد ابن جرير طي نفسه ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وعزم طي فراق سودة حتى وهبت يومها لعائشة ، ثم أجاب بأن هذا كان قبل نزول قوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج) الآية ، وهذا الذي قاله من أن هذا كان قبل نزول الآية صحيح ولكن لا يحتاج إلى ذلك فإن الآية إنما دلت على أنه لا يتزوج بمن عدا اللواتي في عصمته وأنه لا يستبدل بهن غيرهن ولا يدل ذلك على أنه لا يطلق واحدة ممنهن من غير استبدال فأنه أعلم ، فأما قضية سودة ففي الصحيح عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها وهي سبب نزول قوله تعالى (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا) الآية ، وأما قضية حفصة فروى أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من طرق عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن صالح بن صالح بن حي عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وهذا إسناد قوى وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن الأعمش عن أبي صالح عن ابن عمر قال : دخل عمر طي

حفصة وهى تبكى فقال ما يبكيك ؟ لعل رسول الله ﷺ طلقك ، إنه كان طلقك مرة ثم راجعك من أجلى والله لئن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبداً . ورجاله على شرط الصحيحين . وقوله تعالى ( ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن ) فنهاه عن الزيادة عليهن إن طلق واحدة منهن واستبدال غيرها بها إلا ما ملكت يمينه وقدروى الحافظ أبو بكر البزار حديثاً مناسباً ذكره ههنا فقال حدثنا إبراهيم بن نصر حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا عبد السلام ابن حرب عن إسحاق بن عبد الله القرشي عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : كان البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل بادلني امرأتك وأبادلك بامرأتى أى تنزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى فأنزله الله ( ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن ) قال فدخل عيينة بن حصن الفزارى على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فدخل بغير إذن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « فأين الاستئذان ؟ » فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه الحميراء إلى جنبك ؟ فقال رسول الله ﷺ « هذه عائشة أم المؤمنين » قال أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق ؟ قال « يا عيينة إن الله قد حرم ذلك » فلما أن خرج قالت عائشة من هذا ؟ قال « هذا أحرق مطاع وإنه على ماترين لسيد قومه » ثم قال البزار : إسحاق بن عبد الله بن الحديث جداً وإنما ذكرناه لأننا لم نحفظه إلا من هذا الوجه وبيننا العلة فيه

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِ بْنِ إِيَّاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْخَلْقِ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِهُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا إِنْ تُبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

هذه آية الحجاب وفيها أحكام وآداب شرعية وهى مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما ثبت ذلك فى الصحيحين عنه أنه قال واقعت ربي عز وجل فى ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم صلى فأنزل الله تعالى ( واتخذوا من مقام إبراهيم صلى ) وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفجور فلو حجبتن فأنزل الله آية الحجاب وقلت لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم لما تأمل أن عليه فى الفيرة ( عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ) فزلت كذلك وفى رواية لمسلم ذكر أسارى بدر وهى قضيه رابعة وقد قال البخارى حدثنا مسدد عن يحيى عن حميد عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب وكان وقت نزولها فى صبيحة عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش التى تولى الله تعالى تزويجها بنفسه وكان ذلك فى ذى القعدة من السنة الخامسة فى قول قتادة والواقدي وغيرهما ، وزعم أبو عبيدة معمر بن لثمة وخليفة بن خياط أن ذلك كان فى سنة ثلاث فأنه أعلم قال البخارى حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشى حدثنا معمر بن سليمان سمعت أبى حدثنا أبو مجاز عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فإذا هو يتنهد للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام ، فلما قام ، قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فإذا القوم جلوس ثم لأمهم قاموا فانطلقوا فبحثت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فأتى الحجاب بينى وبينه فأنزل الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين

إنه ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا) الآية وقد رواه أيضا في موضع آخر ، ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر بن سليمان به ثم رواه البخاري منفردا به من حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه بنحوه ثم قال حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : بنى النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش بغير لحم فأرسلت على الطعام داعيا فيجىء قوم فياً كلون ويخرجون ثم يجىء قوم فياً كلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقلت يا رسول الله ما أجد أحدا أدعوه قال « ارفعوا طعامكم » وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال « السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته » قالت وعليك السلام ورحمة الله وكيف وجدت أهلك يا رسول الله برك الله لك ؟ فتقرى حجر نسائه كلهن يقول لمن كما يقول لعائشة ويقبلن له كما قالت عائشة ، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا ثلاثة رهط في البيت يتحدثون وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة فأدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله والأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب . انفرده البخاري من بين أصحاب الكتب الستة سوى النسائي في اليوم واليلة من حديث عبد الوارث ثم رواه عن إسحاق هو ابن منصور عن عبد الله بن بكير السهمي عن حميد عن أنس بنحو ذلك وقال رجلان انفرده من هذا الوجه وقد تقدم في افراد مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو المظفر حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان اليشكري عن أنس بن مالك قال أعرس رسول الله ﷺ ببعض نسائه فصنعت أم سليم حيسا ثم جعلته في تور فقالت اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرته مني السلام وأخبره أن هذا منا له قليل قال أنس : والناس يومئذ في جهد فجئت به فقلت يا رسول الله بعثت بهذا أم سليم إليك وهي تمرئك السلام وتقول أخبره أن هذا منا له قليل فنظر إليه ثم قال « ضعه » فوضعت في ناحية البيت ثم قال « اذهب فادع لي فلانا وفلانا » فسمى رجلا كثيرا وقال « ومن لقيت من المسلمين » فدعوت من قال لي ومن لقيت من المسلمين فجئت والبيت والصفة والحجرة ملأى من الناس فقلت يا أبا عثمان كم كانوا ؟ فقال كانوا زهاء ثلاثمائة قال أنس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « جىء به » فجئت به إليه فوضع يده عليه ودعا وقال « ما شاء الله » ثم قال « ليتخلق عشرة عشرة وليسموا وليأكل كل إنسان مما يليه » فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارفعه » قال فجئت فأخذت التور فنظرت فيه فما أدري أهو حين وضعت أكثر أم حين أخذت قال وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس حياء ، ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزيزاً فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على حجره وعلى نسائه فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا في الحجرة فمكث رسول الله ﷺ في بيته يسيراً وأنزل الله عليه القرآن فخرج وهو يتلوا هذه الآية ( يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ) الآيات قال أنس فقرأهن على قبل الناس فأنا أحدث الناس بهن عهداً ، وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن جعفر بن سليمان به ، وقال الترمذي حسن صحيح وعلقه البخاري في كتاب النكاح فقال : وقال إبراهيم بن طهمان عن الجعد أبي عثمان عن أنس قد كرمهوه ، ورواه مسلم أيضا عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر بن الجعد به ، وقد روى هذا الحديث عبد الله بن المبارك عن شريك عن بيان بن بشر عن أنس بنحوه ، ورواه البخاري والترمذي من طريقين آخرين عن بيان بن بشر الأحمسي الكوفي عن أنس بنحوه ، ورواه ابن أبي حاتم أيضا من حديث أبي نضرة العبدى عن أنس بن مالك بنحو ذلك ولم يخرجوه ، ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ومن حديث الزهري عن أنس بنحو ذلك ، وقال الإمام أحمد حدثنا بهزو هاشم بن القاسم قال حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله

زيد عليه السلام « اذهب فاذا كرها على » قال فانطلق زيد حتى أتاهما - قال - وهي تخمر عجبنا فلما رأيتها عظمت في صدري ، وذكر تمام الحديث كما قدمناه عند قوله تعالى ( فلما قضى زيد منها وطرا ) وزاد في آخره بعد قوله : ووعظ القوم بما وعظوا به . قال هاشم في حديثه ( لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ) الآية . وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث جعفر بن سليمان به . وقال ابن جرير حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن أخي ابن وهب حدثني عمي عبد الله بن وهب حدثني يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع - وهو صعيد أبيض - وكان عمر يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفعل ، فخرجت سودة بنت زمعة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الأعلى : قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب قالت فأنزل الله الحجاب . هكذا وقع في هذه الرواية ، والشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب كما رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب فقال يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين . قالت فانكفأت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقالت يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا ، قالت فأوحى الله إلي ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال « إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن » لفظ البخاري فقوله تعالى ( لا تدخلوا بيوت النبي ) حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام حتى غار الله لهذه الأمة قآمرهم بذلك وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيكم والدخول على النساء » الحديث ثم استثنى من ذلك فقال تعالى ( إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ) قال مجاهد وقتادة وغيرهما أي غير متحيين فضجه واستواءه أي لا ترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول فإن هذا مما يكرهه الله ويذمه وهذا دليل على تحريم التطفيل وهو الذي تسميه العرب الضيفن ، وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتابا في ذم الطفيليين وذكر من أخبارهم أشياء يطول إيرادها ، ثم قال تعالى ( ولكن إذا دعيتهم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ) وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرسا كان أو غيره » وأصله في الصحيحين ، وفي الصحيح أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو دعيت إلى ذراع لأجبت ولو أهدى إلى كراع لقبلت ، فإذا فرغتم من الذي دعيتهم إليه فخففوا عن أهل المنزل وانتشروا في الأرض » ولهذا قال تعالى ( ولا مستأنسين لحديث ) أي كما وقع لأولئك نفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ونسوا أنفسهم حتى شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ( إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم ) وقيل المراد أن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به ، ولكن كان يكره أن ينههم عن ذلك من شدة حياته عليه السلام حتى أنزل الله عليه النهي عن ذلك ولهذا قال تعالى ( والله لا يستحي من الحق ) أي ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه ثم قال تعالى ( وإذا سألتهم عن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ) أي وكانه يتكلم عن الدخول عليهن كذلك لا تنتظروا إليهن بالكلية ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن مسعر عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد عن عائشة قالت كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم حيسا في قبة فمر عمر فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعي فقال حسن أو أوهلوا طاع فيمكن ما رأيتكن عين فزل الحجاب ( ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ) أي هذا الذي أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب وقوله تعالى ( وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم عند الله عظيما ) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن أبي حماد حدثنا مهرا بن سفيان عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ( وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ) قال نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعده

قال رجل لسفيان: أهي عائشة؟ قال قد ذكروا ذلك وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وذكر بسنده عن السدي أن الذي عزم على ذلك طلحة بن عبد الله رضی الله عنه حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك، ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه محرم على غيره تزوجها من بعده لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمها للمؤمنين كما تقدموا واختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته هل يحل لغيره أن يتزوجها؟ على قولين مأخذهما هل دخلت هذه في عموم قوله (من بعده) أم لا فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها فإنا نعلم في حلها لغيره والحالة هذه نزاها والله أعلم، وقال ابن جرير حدثني محمد بن الثني حدثنا عبد الوهاب حدثنا داود عن عامر أن نبي الله ﷺ مات وقد ملك قيلة ابنة الأشعث - يعني ابن قيس - فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك فسق ذلك على أبي بكر مشقة شديدة فقال له عمر يا خليفة رسول الله إنها ليست من نسائه إنها لم يغيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها وقد برأها الله منه بالردة التي ارتدت مع قومها، قال فاطمأن أبو بكر رضي الله عنه وسكن، وقد عظم الله تبارك وتعالى ذلك وشدد فيه وتوعد عليه بقوله (إن ذلكم كان عند الله عظيماً) ثم قال تعالى (إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً) أي مهما تكنه ضمائرهم وتنطوى عليه سرائرهم، فإن الله يعلمه فإنه لا تخفى عليه خافية (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور)

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾

لما أمر تبارك وتعالى النساء بالحجاب من الأجانب بين أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم كما استثناهم في سورة النور عند قوله تعالى (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من رجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) وفيها زيادات على هذه وقد تقدم تفسيرا والكلام عليها بما أغنى عن إعادته هنا. وقد سأل بعض السلف فقال: لم لم يذكر العم والحال في هاتين الآيتين؟ فأجاب عكرمة والشعبي بأنهما لم يذكرهما لأنهما قد يصفان ذلك لبيهما، قال ابن جرير حدثني محمد بن الثني حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد حدثنا داود عن الشعبي وعكرمة في قوله تعالى (لا جناح عليهن في آباطهن) الآية قلت ما شأن العم والحال لم يذكر؟ قال لأنهما يعتانها لأبائهما وكرها أن تضع سخارها عند خالها وعمها. وقوله تعالى (ولا نسائهن) يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء للمؤمنات، وقوله تعالى (وما ملكت أيمانهن) يعني به أرقاءهن من الكور والإناث كما تقدم التنبيه عليه، وإيراد الحديث فيه قال سعيد بن المسيب إنما يعني به الإمام فقط رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى (واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا) أي واخشينه في الخلووة والعلانية فإنه شهيد على كل شيء لا تخفى عليه خافية فراقبن الرقيب

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثنائه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، وقال ابن عباس: يصلون بركون هكذا علمه البخاري عنها؛ وقد رواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كذلك وروى مثله عن الربيع أيضا وروى على بن أبي طلحة عن ابن عباس كما قاله سواء، رواهما ابن أبي حاتم، وقال أبو عيسى الترمذي وروى عن صفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا: صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستنفار ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو الأودي حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمرو بن مرة قال قال الأعمش أراه عن عطاء بن أبي رباح (إن الله وملائكته يصلون على النبي) قال: صلته تبارك وتعالى سبح قدوس سبقت رحمتي

غضبي . والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونيبه عنده في الملائكة الأظلى بأنه يثنى عليه عند الملائكة القربين وأن الملائكة تصلى عليه ثم أمر تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الشاء عليه من أهل العالمين العلوى والسفلى جميعا ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحق عن جعفر يعني ابن العيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن نبى إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام هل يصلى ربك ؟ فناده ربه عز وجل : يا موسى سألوكم هل يصلى ربك فقل نعم أنا أصلى وملائكتى على أنبيائى ورسلى ، فأزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم ( إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ) . وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه يصلى على عباده المؤمنين في قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا \* وسبحوه بكرة وأصيلا \* هو الذى يصلى عليكم وملائكته ) الآية وقال تعالى ( وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون \* أولئك عليهم صلوات من ربهم ) الآية ، وفى الحديث « إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصوف » ، وفى الحديث الآخر « اللهم صل على آل أبى أوفى » وقال رسول الله ﷺ لامرأة جابر وقد سألته أن يصلى عليها وعلى زوجها : « صلى الله عليك وعلى زوجك » ، وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ بالأمر بالصلاة عليه ، وكيفية الصلاة عليه ونحن نذكر منها إن شاء الله ما تيسر والله المستعان ، قال البخارى عند تفسير هذه الآية حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد أخبرنا أبى عن مسعر عن الحكم عن ابن أبى ليلى عن كعب بن عجرة قال : قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة ؟ قال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد »

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم قال : سمعت ابن أبى ليلى قال لقيت كعب بن عجرة فقال ألا أهدى لك هدية اخرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله قد علمنا أو عرفنا كيف السلام عليك فكيف الصلاة ؟ فقال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ؛ اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة فى كتبهم من طرق متعددة عن الحكم وهو ابن عتيبة زاد البخارى وعبد الله بن عيسى كلاهما عن عبد الرحمن بن أبى ليلى فذكرهم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا هشيم بن بشير عن يزيد بن أبى زياد حدثنا عبد الرحمن بن أبى ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت ( إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ) قال : قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك ؟ قال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد » وكان عبد الرحمن بن أبى ليلى يقول وعلينا معهم ، ورواه الترمذى بهذه الزيادة ومعنى قولهم أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذى فى التشهد الذى كان يعلمهم إياه كما كان يعلمهم السورة من القرآن وفيه السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ( حديث آخر ) قال البخارى حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلى عليك قال « قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم » قال أبو صالح عن الليث : على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم . حدثنا إبراهيم بن حمزة حدثنا ابن أبى حازم والدروردي عن يزيد بن أبى الهاد قال : كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم . وأخرجه النسائى وابن ماجه من حديث ابن الهاد به . ( حديث آخر ) قال الإمام أحمد قرأت على عبد الرحمن مالك عن عبد الله بن أبى بكر عن أبيه عن عمرو بن سليم أنه قال أخبرنى أبو حميد الساعدى أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك قال « قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته

كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » وقد أخرجه بقية الجماعة سوى الترمذى من حديث مالك به .  
( حديث آخر ) قال مسلم حدثنا يحيى بن يحيى التميمى قال : قرأت على مالك عن نعيم بن عبد الله المجرى  
أخبرني محمد بن عبد الله بن زيد الأنصارى قال : وعبد الله بن زيد هو الذي كان أرى النداء بالصلاة أخبره عن أبي  
مسعود الأنصارى قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادَةَ فقال  
له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك ؟ قال فسكت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد  
كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد  
والسلام كما قد علمتم » وقد رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن جرير من حديث مالك به وقال الترمذى  
حسن صحيح وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم في مستدرکه من حديث محمد بن  
إسحق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه عن أبي مسعود البدرى أنهم قالوا يا رسول الله أما  
السلام فقد عرفناه فكيف نصلى عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا فقال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » وذكره  
ورواه الشافعى رحمه الله في مسنده عن أبي هريرة بمثله ، ومن ههنا ذهب الشافعى رحمه الله إلى أن يجب على الصلى  
أن يصلى على رسول الله ﷺ في التشهد الأخير فان تركه لم تصح صلاته ، وقد شرع بعض المتأخرين  
من المالكية وغيرهم يشنع على الإمام الشافعى في اشتراطه ذلك في الصلاة ويزعم أنه قد تفرد بذلك ، وحكى الاجماع  
على خلافه أبو جعفر الطبرى والطحاوى والخطابى وغيرهم فيما نقله القاضى عياض عنهم ، وقد تمسك هذا القائل في رده  
على الشافعى وتكلف في دعواه الاجماع في ذلك وقال ما لم يحط به علما فانا قد روينا وجوب ذلك والأمر بالصلاة على  
رسول الله ﷺ في الصلاة كما هو ظاهر الآية ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود  
وأبو مسعود البدرى وجابر بن عبد الله ، ومن التابعين الشعبي وأبو جعفر الباقر ومقاتل بن حيان وإليه ذهب الشافعى  
لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضاً ، وإليه ذهب الإمام أحمد أخيراً فيما حكاه عنه أبو زرعة اللدمشقى به ، وبه قال  
إسحق بن راهويه والفقهاء الإمام محمد بن إبراهيم المعروف بابن اللواز للمالكى رحمهم الله حتى إن بعض أئمة  
الحنابلة أوجب أن يقال في الصلاة عليه ﷺ كما علمهم أن يقولوا لما سألوه وحتى إن بعض أصحابنا أوجب  
الصلاة على آله فيما حكاه البندنجى وسليم الرازى وصاحبه نصر بن إبراهيم المقدسى ، ونقله إمام الحرمين  
وصاحبه النزالى قولاً عن الشافعى . والصحيح أنه وجه ، على أن الجمهور على خلافه وحكموا الاجماع على خلافه وللقول  
بوجوبه ظواهر الحديث والله أعلم . والغرض أن الشافعى رحمه الله يقول بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم  
في الصلاة سلفاً وخلفاً كما تقدم والله الحمد والمنة فلا اجماع على خلافه في هذه المسئلة لا قديماً ولا حديثاً والله أعلم .  
ومما يؤيد ذلك الحديث الآخر الذى رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وصححه ، والنسائى وابن خزيمة وابن حبان  
في صحيحهما من رواية حيوة بن شريح المصرى عن أبي هانىء حميد بن هانىء عن عمرو بن مالك أبى على الحسينى عن فضالة  
ابن عبيد رضى الله عنه قال سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجّد الله ولم يصل على النبي  
فقال رسول الله ﷺ « عجل هذا » ثم دعا فقال له أو لغيره « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل  
والثناء عليه ثم يصل على النبي ثم ليذبح بعد بما شاء » وكذا الحديث الذى رواه ابن ماجه من رواية عبد المهيمن  
ابن عباس بن سهل بن سعد الساعدى عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا صلاة لمن لا وضوء  
له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه . ولا صلاة لمن لم يصل على النبي ، ولا صلاة لمن لم يحب الأنصار »  
ولكن عبد المهيمن هذا متروك وقد رواه الطبرانى من رواية أخيه أبى بن عباس ولكن في ذلك نظر وإنما يعرف  
من رواية عبد المهيمن والله أعلم .

( حديث آخر ) قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا إسماعيل عن أبى داود الأعمى عن بريدة قال : قلنا

يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك ؟ قال : « قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » أبو داود الأعمى اسمه نعيم بن الحارث متروك (حديث آخر) موقوف روينا من طريق سعيد بن منصور وزيد بن هارون وزيد بن الحباب ثلاثهم عن نوح بن قيس حدثنا سلامة الكندي أن علياً رضي الله عنه كان يعلم الناس هذا الدعاء اللهم داحي المدحوات ، وبارئ السموات وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها ، اجعل شرائف صلواتك ، ونوامي بركاتك ، ورافة تحننك ، على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والمعلن الحق بالحق ، والدامع لجيشات الأباطيل ، كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك ، مستوفزاً في مرضاتك غير نكل في قدم ، ولا وهن في عزم ، وإعيا لوجيك ، حافظاً لعهدك ، ماضياً على نفاذ أمرك حتى أوري قبسا لقابس ، آلاء الله تصل بأهله أسبابه ، به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم ، وأبهج موضحات الأعلام ، ونائرات الأحكام ، ومنيرات الإسلام ، فهو أمينك للأمن ، وخازن علمك الخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبعيئك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة ، اللهم افسح له في عدتك واجزه مضاعفات الخير من فضلك ، مهنات له غير مكدرات ، من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك الملول ، اللهم أعل على بناء الناس بناءه وأكرم مثواه لديك ونزله . وأتم له نوره واجزه من ابتعائك له مقبول الشهادة . مرضى المقالة ذا منطق عدل . وخطة فصل . وحجة وبرهان عظيم . هذا مشهور من كلام علي رضي الله عنه وقد تكلم عليه ابن قتيبة في مشكل الحديث وكذا أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي في جزء جمعه في فضل الصلاة على النبي ﷺ إلا أن في إسناده نظراً . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك علياً . كذا قال وقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني هذا الأثر عن محمد بن علي الصائغ عن سعيد بن منصور حدثنا نوح بن قيس عن سلامة الكندي قال كان علي رضي الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي ﷺ فيقول اللهم داحي المدحوات وذكرة

(حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا زيد بن عبد الله حدثنا المسعودي عن عون بن عبد الله عن أبي فاختة عن الأسود ابن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال إذا صليت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال فقالوا له علمنا ، قال قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتم النبيين ، محمد عبدك ورسولك ، إمام الخيرو قائد الخير ، ورسول الرحمة . اللهم ابعثه مقاماً محموداً يعطيه به الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وهذا موقوف ؟ وقد روى إسماعيل القاضي عن عبد الله بن عمرو وأبو عمر على الشك من الراوي قريياً من هذا ؟ (حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا أبو إسرائيل عن يونس بن خباب قال خطبنا بفارس فقال (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) فقال أنبأني من مع ابن عباس يقول هكذا أنزل فقلنا أو قالوا يارسول الله علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد » فيستدل بهذا الحديث من ذهب إلى جواز الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو قول الجمهور وبعضه حديث الأعرابي الذي قال : اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً فقال رسول الله ﷺ « لقد حجرت واسعاً » وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منه قال وأجازه أبو محمد بن أبي يزيد ،

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر أخبرنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من صلى على صلاة لم تنزل الملائكة تصلى عليه ما صلى على فليقل عبد من ذلك أو ليكثر » ورواه ابن ماجه من حديث شعبة به .



ساجدا فتنحيت حتى إن جبريل أتاني فقال من صلى عليك من أمته واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات « وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج على الصحيحين ، وقد رواه إسماعيل القاضي عن القعبي عن سلمة بن وردان عن أنس عن عمر بنحوه ، ورواه أيضا عن يعقوب بن حميد عن أنس بن عياض عن سلمة بن وردان عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر بن الخطاب بنحوه ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت بن سليمان مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا يا رسول الله إنا نرى السرور في وجهك فقال « إنه أتاني الملك فقال يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول إنه لا يصلى عليك أحد من أمته إلا صليت عليه عشراً ، ولا يسلم عليك أحد من أمته إلا سلمت عليه عشراً ؟ بلى » ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة به ؛ وقد رواه إسماعيل القاضي عن إسماعيل بن أبي أوس عن أخيه عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عمر عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة بنحوه ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا أبو معشر عن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبي طلحة الأنصاري قال أصبح رسول الله ﷺ يوماً طيب النفس يرى في وجهه البشر قالوا يا رسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر قال « أجل أتاني آت من ربي عز وجل فقال من صلى عليك من أمته صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ؛ ومحامنه عشر سيئات. ورفع له عشر درجات ، ورد عليه مثلها » وهذا أيضا إسناده جيد ولم يخرجوه . ﴿ حديث آخر ﴾ روى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشراً » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف وعامر بن ربيعة وعمار وأبي طلحة وأنس وأبي بن كعب ، وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا شريك عن ليث عن كعب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « صلوا علي فانها زكاة لكم وسلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في أعلا الجنة ولا ينالها إلا رجل ، وأزجو أن أكون أنا هو » تفرد به أحمد وقد رواه البزار من طريق مجاهد عن أبي هريرة بنحوه فقال حدثنا محمد بن إسحاق البسكالي حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا داود بن علي عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلوا علي فانها زكاة لكم ، وسلوا الله لي الدرجة الوسيلة من الجنة » فسألناه أو أخبرنا فقال « هي درجة في أعلى الجنة وهي لرجل وأزجو أن أكون ذلك الرجل » في إسناده بعض من تكلم فيه ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لميعة عن عبد الرحمن بن بريح الخولاني سمعت أبا قيس مولى عمرو بن العاص سمعت عبد الله بن عمرو يقول : من صلى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته لها سبعين صلاة ، فليقل عبد من ذلك أو ليكثر وسمعت عبد الله بن عمرو يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً كالمودع فقال « أنا محمد النبي الأمي — قاله ثلاث مرات — ولا نبي بعدي ، أو تبت فوائح الكلام وخواتمه وجوامعه ، وعلت كم خزنة النار وحملة العرش وتجاوز بي عوفيت وعوفيت أمي ، فاسمعوا وأطيعوا مادمت فيكم ، فإذا ذهب بي فمليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه :

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود الطيالسي حدثنا أبو سلمة الخراساني حدثنا أبو إسحاق عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ذكرت عنده فليصل علي ومن صلى علي مرة واحد صلى الله عليه عشراً » ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث أبي داود الطيالسي عن أبي سلمة وهو المغيرة بن مسلم الخراساني عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي عن أنس به ﴿ حديث آخر ﴾ عن أنس قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو عن يونس بن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي مريم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الملك ابن عمرو وأبو سعيد حدثنا سليمان بن بلال عن عمارة بن غزوية عن عبد الله بن علي بن الحسين عن أبيه عن الحسين

عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « البخيل من ذكرت عنده لم يصل على » وقال أبو سعيد « فلم يصل على » ورواه الترمذى من حديث سليمان بن بلال ثم قال هذا حديث حسن غريب صحيح ومن الرواة من جعله من مسند الحسين بن علي ومنهم من جعله من مسند علي نفسه

(حديث آخر) قال إسماعيل القاضي حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن معبد بن هلال العنزي حدثنا رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل على » (حديث آخر) مرسل قال إسماعيل وحدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصلى على » (حديث آخر) قال الترمذى حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا ربيع بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يفرغه ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبير فلم يدخله الجنة » ثم قال حسن غريب . قلت وقد رواه البخارى في الأدب عن محمد بن عبيد الله حدثنا ابن أبي حازم عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه ، ورويناه من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به قال الترمذى وفي الباب عن جابر وأنس قلت وابن عباس وكعب بن عجرة وقد ذكرت طرق هذا الحديث في أول كتاب الصيام عند قوله ( إنا يبلغن عندك الكبير أحدهما أو كلاهما ) وهذا الحديث والذي قبله دليل على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر وهو مذهب طائفة من العلماء منهم الطحاوى والحليمي ويتقوى بالحديث الآخر الذي رواه ابن ماجه حدثنا جنادة بن اللطيس حدثنا حماد بن زيد حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نسي الصلاة على أخطأ طريق الجنة » جنادة ضعيف ولكن رواه إسماعيل القاضي من غير وجه عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نسي الصلاة على أخطأ طريق الجنة » وهذا مرسل يتقوى بالذي قبله والله أعلم . وذهب آخرون إلى أنه تجب الصلاة عليه في المجلس مرة واحدة ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس بل تستحب ثقلة الترمذى عن بعضهم ويتأيد بالحديث الذي رواه الترمذى حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة يوم القيامة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم » تفرد به الترمذى من هذا الوجه ورواه الإمام أحمد عن حجاج ويزيد بن هارون كلاهما عن ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعاً مثله ثم قال الترمذى هذا حديث حسن

وقد روى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ من غير وجه وقد رواه إسماعيل القاضي من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي سعيد قال « ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي ﷺ إلا كان عليهم يوم القيامة حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب » وحكى عن بعضهم أنه إنما تجب الصلاة عليه - عليه الصلاة والسلام - في العمر مرة واحدة امتثالاً لأمر الآية . ثم هي مستحبة في كل حال وهذا هو الذي نصره القاضي عياض بعدما حكى الاجماع على وجوب الصلاة عليه ﷺ في الجملة . قال وقد حكى الطبري أن محل الآية على الندب وادعى فيه الاجماع قال ولعله فيما زاد على المرة الواجب فيه مرة كالشهادة له بالنبوة وما زاد على ذلك فندوب ومرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله [ قلت ] وهذا قول غريب فانه قد ورد الأمر بالصلاة عليه في أوقات كثيرة فمنها واجب ومنها مستحب على ما نبينه . فمنه بعد النداء للصلاة للحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يقول إنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول إنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إذا سمعتم مؤذناً يقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلى الله عليه بها

عشر أتم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة » وأخرجه مسلم وأبوداود والترمذى والنسائى من حديث كعب بن علقمة (طريق أخرى ) قال إسماعيل القاضى حدثنا محمد بن أبى بكر حدثنا عمرو بن طى عن أبى بكر الجشمى عن صفوان بن سليم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « من سأل الله لى الوسيلة حقت عليه شفاعتى يوم القيامة » .

(حديث آخر ) قال إسماعيل القاضى حدثنا سليمان بن حرب حدثنا سعيد بن زيد عن ليث عن كعب هو كعب الأخبار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « صلوا لى فان صلاتكم لى زكاة لكم وسلوا الله لى الوسيلة » قال فإما حدثنا وإما سألتنا قال « الوسيلة أعلى درجة فى الجنة لا يئالها إلا لرجل وأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل » ثم رواه عن محمد بن أبى بكر عن معتمر عن ليث وهو ابن أبى سليم به وكذا الحديث الآخر . قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا بكر بن سواده عن زياد بن نعيم عن ورقاء الحضرمى عن روفيع بن ثابت الأنصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من صلى لى محمد وقال اللهم أنزله القعد للقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى » وهذا إسناد لأبأس به ولم يخرجوه (أثر حسن ) قال إسماعيل القاضى حدثنا طى بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنى معمر عن ابن طاوس عن أبىه معمت ابن عباس يقول : اللهم تقبل شفاعته محمد الكبرى وارفع درجته العليا ، وأعطه سؤلها فى الآخرة والأولى كما آتيت إبراهيم وموسى عليهما السلام . إسناد جيد قوى صحيح .

ومن ذلك عند دخول المسجد والخروج منه للحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا ليث بن أبى سليم عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن جدته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى لى محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ، وإذا خرج صلى لى محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك » وقال إسماعيل القاضى حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا سفيان بن عمرو التيمى عن سليمان الضبى عن طى بن الحسين قال ، قال طى بن أبى طالب رضى الله عنه : إذا مررت بالمساجد فصلا لى النبي صلى الله عليه وسلم . وأما الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فقد قدمنا الكلام عليها فى التشهد الأخير ومذهب لى ذلك من العلماء منهم الشافعى رحمه الله وأكرمه ، وأما التشهد الأول فلا تجب فيه قولاً واحداً وهل تستحب ؟ على قولين للشافعى ومن ذلك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى صلاة الجنائز فان السنة أن يقرأ فى التكبير الأولى فاتحة الكتاب ، وفى الثانية أن يصلى لى النبي صلى الله عليه وسلم وفى الثالثة يدعو للميت وفى الرابعة يقول اللهم لا تحرمننا أجره ولا تفتنا بعده قال الشافعى رحمه الله : حدثنا مطرف بن مازن عن معمر عن الزهرى أخبرنى أبو أمامة بن سهل بن حنيف أنه أخبره رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن السنة فى الصلاة لى الجنائز أن يكبر الإمام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبير الأولى سرا فى نفسه ثم يصلى لى النبي صلى الله عليه وسلم ويخلص الدعاء للجنائز وفى التكبيرات لا يقرأ فى شىء منها ثم يسلم سرا فى نفسه . ورواه النسائى عن أبى أمامة نفسه أنه قال من السنة فذكره ، وهذا من الصحابى فى حكم الرفوع لى الصحيح . ورواه إسماعيل القاضى عن محمد بن المثنى عن عبد الأطل عن معمر عن الزهرى عن أبى أمامة بن سهل عن سعيد بن المسيب أنه قال : السنة فى الصلاة لى الجنائز فذكره . وهكذا روى عن أبى هريرة وابن عمر والشعبى ومن ذلك فى صلاة العيد قال إسماعيل القاضى حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام الدستوائى حدثنا حماد بن أبى سليمان عن إبراهيم عن علقمة أن ابن مسعود وأبا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة يوماً قبل العيد فقال لهم إن هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه ؟ قال عبد الله تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلى لى النبي ﷺ ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تقرأ ثم تكبر وتركع ، ثم تقوم فتقرأ وتحمد ربك وتصلى لى النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تركع فقال حذيفة وأبو موسى صدق أبو عبد الرحمن إسناد صحيح ، ومن ذلك أنه يستحب حتم الدعاء بالصلاة عليه صلى الله عليه

وسلم قال الترمذي حدثنا أبو داود حدثنا النضر بن شميل عن أبي قررة الأسدي عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال :  
الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلى على نبيك وكذا رواه أيوب بن موسى عن سعيد بن المسيب  
عن عمر بن الخطاب . ورواه معاذ بن الحارث عن أبي قررة عن سعيد بن المسيب عن عمر مرفوعا ، وكذا رواه رزين  
ابن معاوية في كتابه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد حتى يصلى  
على فلا تجعلوني كغير الرأكب صلوا على أول الدعاء وآخره وأوسطه » وهذه الزيادة إنما تروى من رواية جابر  
ابن عبد الله في مسند الإمام عبد بن حميد الكشي حيث قال : حدثنا جعفر بن عون أخبرنا موسى بن عبيدة عن إبراهيم  
ابن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال : قال جابر قال لنا رسول الله ﷺ « لا تجعلوني كدفع الرأكب إذا علق تماليقه  
أخذ قدحه فملاه من الماء فان كان له حاجة في الوضوء توشأ ، وإن كان له حاجة في الشرب شرب وإلا هراق  
مافيه اجعلوني في أول الدعاء وفي وسط الدعاء وفي آخر الدعاء » وهذا حديث غريب وموسى بن عبيدة ضعيف  
الحديث ، ومن أكد ذلك دعاء القنوت لما رواه أحمد وأهل السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من  
حديث أبي الجوزاء عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر  
اللهم اهدني فيمن هديت . وعافني فيمن عافيت . وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت . وفقني شرما قضيت . فإنك  
تقضي ولا يقضي عليك . إنه لا يذل من واليت . ولا يعز من عاديت . تباركت ربنا وتعاليت . وزاد النسائي في سننه  
بعد هذا وصلى الله على محمد . ومن ذلك أنه يستحب الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة . قال الإمام  
أحمد حدثنا حسين بن علي الجعفي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس الثقفي  
رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض ، وفيه النفخة ؛  
وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي » قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك  
صلاتنا وقد أرمت ؟ يعني وقد بليت ، قال « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » ورواه أبو داود  
والنسائي وابن ماجه من حديث حسين بن علي الجعفي وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والنووي  
في الأذكار (حديث آخر) قال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا عمرو بن سواد المصري حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو  
ابن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عباد بن نسي عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ  
« أكثروا الصلاة على يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وإن أحدا لن يصل على فيه إلا عرضت على صلاته  
حتى يفرغ منها » قال قلت وبعد الموت ؟ « قال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فبني الله حتى يرزق » هذا  
حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع بين عبادة بن نسي وأبي الدرداء فانه لم يدركه والله أعلم  
وقد روى البيهقي من حديث أبي أمامة وابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر بالاكثر من الصلاة  
عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن في إسنادها ضعف والله أعلم . وروى مراسلا عن الحسن البصري فقال إسحاق  
القاضي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن البصري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
« لا تأكل الأرض جسدا من كلمه روح القدس » مرسل حسن والنووي في الأذكار (١) وقال القاضي وقال الشافعي  
أخبرنا إبراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة  
فأكثروا الصلاة على » هذا مرسل وهكذا يجب على الخطيب أن يصل على النبي ﷺ يوم الجمعة على المنبر في الخطبتين  
ولا تصح الخطبتان إلا بذلك لأنها عبادة . وذكر الله شرط فيها فوجب ذكر الرسول ﷺ فيها كالأذان  
والصلاة هذا مذهب الشافعي وأحمد رحمهما الله ومن ذلك أنه يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره صلى الله  
وسلم قال أبو داود حدثنا ابن عوف هو محمد حدثنا القري حدثنا حيوة عن أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله  
ابن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ما منكم من أحد يسلم على إلا رد الله على روحه حتى يرد  
عليه السلام » نخره أبو داود وصححه النووي في الأذكار . ثم قال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح قال : قرأت

على عبد الله بن نافع أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد القبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبرى عبدا ، وصلوا على فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » تفرد به أبو داود أيضا ، وقد رواه الإمام أحمد عن شريح عن عبد الله بن نافع وهو الصائغ به وصححه النووي أيضا وقد روى من وجه آخر متصلا قال القاضي إسماعيل بن إسحق في كتابه فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثنا جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عمن أخبره من أهل بيته عن علي بن الحسين بن علي أن رجلا كان يأتي كل غداة فيزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي عليه ويصنع من ذلك ما اشتهر عليه علي بن الحسين فقال له علي بن الحسين ما يحملك على هذا ؟ قال أحب السلام على النبي ﷺ فقال له علي بن الحسين هل لك أن أحدثك حديثا عن أبي ؟ قال نعم فقال له علي بن الحسين أخبرني أبي عن جدي أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجعلوا قبرى عبداً ولا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا على وسلوا حيثما كنتم فتبلغني صلاتكم وسلامكم » في إسناده رجل مبهم لم يسم ، وقد روى من وجه آخر مرسل قال عبد الرزاق في مصنفه عن الثوري عن ابن عجلان عن رجل يقال له سهيل عن الحسن بن الحسن بن علي قال رأى قوما عند القبر فنهاهم وقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تتخذوا قبرى عبدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني » فلعله رأيهم يستثون الأدب برفع أصواتهم فوق الحاجة فنهاهم . وقد روى أنه رأى رجلا يتناب القبر فقال : يا هذا ما أنت ورجل بالأندلس منه إلا سوء . أي الجميع يبلغه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ؟ وقال الطبراني في معجمه الكبير حدثنا أحمد بن رشدين المصري حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر أخبرني حميد بن أبي زينب عن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « صلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني » ثم قال الطبراني حدثنا العباس بن حمدان الأصبهاني حدثنا شعيب بن عبد الحميد الطحان أخبرنا يزيد بن هارون بن أبي شيبان عن الحكم بن عبد الله بن خطاب عن أم أنيس بنت الحسن بن علي عن أبيها قال : قال رسول الله ﷺ « أرأيت قول الله عز وجل ( إن الله وملائكته يصلون على النبي ) - فقال - « إن هذا من المكنوم ولولا أنكم سألتوني عنه ما أخبرتكم ، إن الله عز وجل وكل بي ملكين لا أذكر عند عبد مسلم فيصلي على إلا قال ذانك للملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لدينك الملكين آمين ، ولا يصلي على أحد إلا قال ذانك للملكان غفر الله لك ويقول الله وملائكته جوابا لدينك الملكين آمين » غريب جدا وإسناده به ضعف شديد . وقد قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغونني عن أمتي السلام » وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان التروى وسليمان بن مهران الأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب به . فأما الحديث الآخر « من صلى على عند قبرى سمعته ، ومن صلى على من بعيد بلغته » في إسناده نظر تفرد به محمد بن مروان السدي الصغير وهو متروك عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا . قال أصحابنا ويستحب للحرث إذا لبى وفرغ من تليته أن يصلي على النبي ﷺ لسأرواه الشافعي والدارقطني من رواية صالح بن محمد بن زائدة عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال كان يؤمر الرجل إذا فرغ من تليته أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال ، وقال إسماعيل القاضي حدثنا عارم بن الفضل حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا زكريا عن الشعبي عن وهب بن الأجدع قال : سمعت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يقول : إذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ، ثم اتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا سبع مرات تكبيرا بين حمد الله وثناء عليه وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومستثناة لنفسك ، وعلى المروة مثل ذلك إسناده جيد حسن قوى ، قالوا ويستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مع ذكر الله عند التبع واستأنسوا بقوله تعالى ( ورفعا لك ذكرك ) قال بعض المفسرين : يقول الله تعالى لا أذكر إلا ذكرت معي وخالفهم في ذلك الجمهور وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كما عند الأكل والدخول

والوقاع وغير ذلك مما لم ترد فيه السنة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ حديث آخر ﴾ قال إسماعيل القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا عمرو بن هارون عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني » في إسناده ضعيفان وهما عمرو بن هارون وشيخه والله أعلم . وقد رواه عبد الرزاق عن الثوري عن موسى بن عبيدة الزبيدي به ، ومن ذلك أنه يستحب الصلاة عليه عند طنين الأذن إن صح الخبر في ذلك على أن الإمام أبا بكر محمد بن إسحق بن خزيمة قد رواه في صحيحه فقال : حدثنا زياد بن يحيى حدثنا معمر بن محمد ابن عبيد الله عن علي بن أبي رافع عن أبيه أن رافع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير » إسناده غريب وفي ثبوته نظر والله أعلم .

﴿ مسألة ﴾ وقد استحب أهل الكتابة أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي ﷺ كلما كتبه ، وقد ورد في الحديث من طريق كادح بن رحمة عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى علي في كتاب لم تزل الصلاة جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب » وليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة وقد روى من حديث أبي هريرة ولا يصح أيضا ، قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي شيخنا أحسبه موضوعا ، وقد روى نحوه عن أبي بكر وابن عباس ولا يصح من ذلك شيء والله أعلم . وقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه [ الجامع الآداب الراوي والسامع ] قال : رأيت بخط الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كثيرا ما يكتب اسم النبي صلى الله عليه وسلم من غير ذكر الصلاة عليه كتابة قال : وبلغني أنه كان يصلي عليه لفظا . ﴿ فصل ﴾ وأما الصلاة على غير الأنبياء فإن كانت على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وآله وأزواجه وذريته فهذا جائز بالاجماع وإنما وقع النزاع فيما إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون يجوز ذلك واحتجوا بقول الله تعالى ( هو الذي يصلي عليكم وملائكته ) وبقوله ( أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ) وبقوله ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم ) الآية وبحديث عبد الله ابن أبي أوفى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقهم قال « اللهم صل عليهم » فأتاه أبي بصدقته فقال « اللهم صل على آل أبي أوفى » أخرجاه في الصحيحين ، وبحديث جابر أن امرأته قالت يا رسول الله صل على وعلى زوجي فقال « صلى الله عليك وعلى زوجك » قال الجمهور من العلماء لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة لأن هذا قد صار شعارا للأنبياء إذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا يقال قال أبو بكر صلى الله عليه أو قال على صلى الله عليه ، وإن كان المعنى صحيحا كما لا يقال قال محمد عز وجل ، وإن كان عزيزا جليلا لأن هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ولهذا لم يثبت شعارا لآل أبي أوفى ولا لجابر وامرأته وهذا مسلك حسن . وقال آخرون لا يجوز ذلك لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صارت من شعار أهل الأهواء يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك والله أعلم ؛ ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم أو الكراهة التنزيهية أو خلاف الأولى ؟ على ثلاثة أقوال حكاه الشيخ أبو زكريا النووي في كتاب الأذكار . ثم قال والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه مكروه كراهة تنزيهية لأنه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم ، والمكروه هو ما ورد فيه نهى مقصود . قال أصحابنا والعمد في ذلك أن الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالأنبياء كما أن قولنا عز وجل مخصوص بالله تعالى فكما لا يقال محمد عز وجل وإن كان عزيزا جليلا لا يقال أبو بكر أو علي صلى الله عليه ؛ هذا لفظ مجروفه ؛ قال وأما السلام فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا هو في معنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الأنبياء فلا يقال على عليه السلام وسواء في هذا الأحياء والأموات وأما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك وسلام عليكم أو السلام عليك أو عليكم وهذا مجمع عليه انتهى ما ذكره ( قلت ) وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد على رضي الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه ؛ وهذا وإن كان معناه صحيحا لكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك فإن

هذا من باب التعظيم والتكريم ، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضى الله عنهم أجمعين قال إسماعيل القاضى حدثنا عبد الله بن عبد الواحد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثني عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : لا تصح الصلاة على أحد إلا على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالمغفرة ، وقال أيضا حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حسين بن علي عن جعفر بن برقان قال كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد فإن ناسا من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة ، وإن ناسا من القصاص قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاءك كتابي هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعائهم للمسلمين عامة ويدعوا ماسوى ذلك . أثر حسن ؛ قال إسماعيل القاضى حدثنا معاذ بن أسد حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا ابن لهيعة حدثني خاله بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن نبيه ابن وهب أن كعبا دخل على عائشة رضى الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب : ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفون بالقبر يضربون بأجنحتهم يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون ألفا بالليل وسبعون ألفا بالنهار حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفا من الملائكة يزفونه . ﴿ فرع ﴾ قال النووي إذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم فلا يقتصر على أحدهما فلا يقول صلى الله عليه فقط ولا عليه السلام فقط ، وهذا الذي قاله منتزع من هذه الآية الكريمة وهي قوله ( يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ) فالأولى أن يقال ﷺ تسليما

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا أُكْتَسَبُوا قَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿

يقول تعالى متهددا ومتوعدا من آذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك وإبداء رسوله بعيب أو بنقص - عيادا بالله من ذلك - قال عكرمة في قوله تعالى ( إن الذين يؤذون الله ورسوله ) نزلت في الصورين . وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر أقلب ليله ونهاره » ومعنى هذا أن الجاهلية كانوا يقولون يا خيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا فيسندون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه وإنما الفاعل لذلك هو الله عز وجل فنهى عن ذلك . هكذا قرره الشافعي وأبو عبيدة وغيرها من العلماء رحمهم الله وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى ( إن الذين يؤذون الله ورسوله ) نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ في تزويجه صفية بنت حيي بن أخطب . والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه بشيء ومن آذاه فقد آذى الله كما أن من أطاعه فقد أطاع الله كما قال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا إبراهيم بن سعد عن عبيدة بن أبي رائطة الحداء الجاشعي عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن الفضل المزني قال : قال رسول الله ﷺ « الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » وقد رواه الترمذي من حديث عبيدة بن أبي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن الفضل به ، ثم قال وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه

وقوله تعالى ( والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ) أى ينسبون اليهم ما لم يعملوه ولم يفعلوه ( فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ) وهذا هو البهت الكبير أن يحكى أو يتقلد عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم ، ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه ويصفونهم بتقيض ما أخبر الله عنهم فإن الله عز وجل قد أخبر أنه قد رضى

عن المهاجرين والأنصار ومدحهم وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم ويتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه  
أبدأ فهم في الحقيقة منكسو القلوب يذمون المدوحين ويمدحون الذمومين ، وقال أبو داود حدثنا القعني حدثنا  
عبد العزيز يعني ابن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أنه قيل يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال « ذكرك أخاك بما يكره » قيل  
أفرأيت إن كان في أخى ما أقول ؟ قال « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته »  
وهكذا رواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي به ثم قال حسن صحيح ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سلمة  
حدثنا أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن عمار بن أنس عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ  
لأصحابه « أي الربا أربي عند الله ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « أربي الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم »  
ثم قرأ ( والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ) ،

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ  
فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا \* لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُتَنَفِّقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ  
لُغْفَرَيْنَكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا \* مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا نُفِغُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا نَفْسَيْهَا \* سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ  
خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

يقول تعالى أمراً رسول الله ﷺ تسليماً أن يأمر النساء المؤمنات - خاصة أزواجه وبناته لشرفهن - بأن يدنين  
عليهن من جلابيبهن ليميزن عن سائر نساء الجاهلية وسائر الاماء ، والجلباب هو الرداء فوق الخمار . قاله ابن  
مسعود وعبيدة وقتادة والحسن البصرى وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وعطاء الخراساني وغير واحد وهو بمنزلة  
الازار اليوم . قال الجوهرى : الجلابب اللحفة ، قالت امرأة من هذيل ترى قتيلاها  
تمشى النسر إليه وهي لاهية مشى العذارى عليهن الجلابيب

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن  
من فوق ردوسهن بالجلابيب ويدين عيناً واحدة ، وقال محمد بن سيرين سألت عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل  
( يدنين عليهن من جلابيبهن ) فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى وقال عكرمة تعطى ثعرة عنرها بجلابها تدينه عليها  
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهري فيما كتب إلي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خثيم عن صفية  
بنت شيبة عن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية ( يدنين عليهن من جلابيبهن ) خرج نساء الأنصار كأن علي رءوسهن  
الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسها ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثني الليث حدثنا يونس  
ابن يزيد قال وسألناه يعني الزهري هل على الوليدة خمار متزوجة أو غير متزوجة قال عليها الخمار إن كانت متزوجة  
ونهى عن الجلابب لأنه يكره لمن أن يتشبهن بالحرائر المحصنات وقد قال الله تعالى ( يا أيها النبي قل لأزواجك  
وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ) ، وروى عن سفيان الثوري أنه قال : لا بأس بالنظر إلى زينة نساء  
أهل النمة وإنما نهى عن ذلك لحوف الفتنة لا لحرمتهن واستدل بقوله تعالى ( ونساء المؤمنين ) وقوله ( ذلك أدنى  
أن يعرفن فلا يؤذين ) أى إذا فعلن ذلك عرفن أنهم حرائر ، لسن ياماء ولا عواهر . قال السدي في قوله تعالى ( يا أيها النبي  
قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ) قال كان ناس  
من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة فيعرضون للنساء وكانت مساكن أهل المدينة  
ضيقه فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن فكان أولئك الفساق ينتخون ذلك منهم ، فإذا رأوا  
المرأة عليها جلابب قالوا هذه حرة فكفوا عنها ، وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلابب قالوا هذه أمة فوثبوا عليها ،

وقال مجاهد يتجلبين فيعلم أنهم حرائر فلا يتعرض لمن فاسق بأذى ولا ريبة ، وقوله تعالى ( وكان الله غفورا رحيما )  
 أي لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهم علم بذلك ، ثم قال تعالى متوعداً للنافقين وهم الذين يظهرون  
 الإيمان ويبطنون الكفر ( والذين في قلوبهم مرض ) قال عكرمة وغيره هم الزناة ههنا ( والرجفون في المدينة )  
 يعني الذين يقولون جاء الأعداء وجاءت الحروب وهو كذب واقترأ لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق  
 ( لنفرينك بهم ) قال طلي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي لنسلطنك عليهم . وقال قتادة لنحرسنك بهم ، وقال السدي  
 لنعلنك بهم ( ثم لا يجاورونك فيها ) أي في المدينة ( إلا قليلا \* ملعونين ) حال منهم في مدة إقامتهم في المدينة مدة  
 قرية مطرودين مبعدين ( أينما تقفوا ) أي وجدوا ( أخذوا ) لذتهم وقتهم ( وقتلوا تقتيلا ) ثم قال تعالى ( سنة الله  
 في الدين خلوا من قبل ) أي هذه سنته في النافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه أن أهل الإيمان  
 يسلطون عليهم ويقهرونهم ( ولن تجد لسنة الله تبديلا ) أي سنة الله في ذلك لا تبدل ولا تغير

﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا \* إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ  
 الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا \* خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا \* يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ  
 يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ \* وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا \* رَبَّنَا  
 آتِنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ مِمَّنْ لَعْنَتْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾

يقول تعالى مخبرا لرسوله صلوات الله وسلامه عليه أنه لا علم له بالساعة وإن سأله الناس عن ذلك ، وأرشده  
 أن يرد علمها إلى الله عز وجل كما قال الله تعالى في سورة الأعراف وهي مكية وهذه مدينة فاستمر الحال في رد علمها  
 إلى الذي يقيمها لكن أخبره أنها قريبة بقوله ( وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ) كما قال تعالى ( اقتربت  
 الساعة وانشق القمر ) وقال ( اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ) وقال ( آي أمر الله فلا تستعجلوه ) ثم  
 قال ( إن الله لعن الكافرين ) أي أبعدهم من رحمته ( وأعد لهم سعيرا ) أي في الدار الآخرة ( خالدين فيها  
 أبدا ) أي ما كثرين مستمرين فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها ( لا يجدون وليا ولا نصيرا ) أي وليس  
 لهم مغيب ولا معين يتقدم مما هم فيه ثم قال ( يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول )  
 أي يسحبون في النار على وجوههم وتلوى وجوههم على جهنم يقولون وهم كذلك يتمنون أن لو كانوا في الدار الدنيا  
 ممن أطاع الله وأطاع الرسول كما أخبر الله عنهم في حال العرصات بقوله ( ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني  
 اتخذت مع الرسول سبيلا \* يا ويلتنا ليتني لم آخذ فلانا خليلا \* لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان  
 للإنسان خذولا ) وقال تعالى ( ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ) وهكذا أخبر عنهم في حالتهم هذه أنهم  
 يودون أن لو كانوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا ( وقالوا ربنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا )  
 وقال طاووس : ساداتنا يعني الأشراف وكبراءنا يعني العلماء رواه ابن أبي حاتم أي اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء  
 من الشيعة وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئا وأنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شيء ( ربنا آتتهم من العذاب )  
 أي بكفرهم وإغوائهم إيانا ( والعنهم لعنا كبيرا ) قرأ بعض القراء بالباء للوحدة ، وقرأ آخرون بالثاء للثنية وهما قريبا  
 المعنى كما في حديث عبد الله بن عمرو أن أبا بكر قال يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال « قل اللهم إني ظلمت  
 نفسي ظلما كثيرا ولا يعفرك الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمي انك أنت الغفور الرحيم » أخرجاه في  
 الصحيحين ، يروى كثيرا وكبارا وكلاهما بمعنى صحيح واستحب بعضهم أن يجمع الداعي بين اللفظين في دعائه وفي ذلك  
 نظر ، بل الأولى أن يقول هذا تارة وهذا تارة كما أن القاريء غير بين القراءتين أيتهما قرأ أحسن وليس له الجمع بينهما

والله أعلم وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا ضرار بن سرد حدثنا علي بن هاشم عن عبيد الله ابن أبي رافع عن أبيه في تسمية من شهد مع علي رضي الله عنه الحجاج بن عمرو بن غزية وهو الذي كان يقول عند اللقاء يا معشر الأنصار أتريدون أن تقولوا لربنا إذا لقيناه (ربنا إنا أطلعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا \* ربنا آثم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) ؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾

قال البخارى عند تفسير هذه الآية حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا عوف عن الحسن ومحمد وخلص عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن موسى كان رجلا حيا وذلك قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ) هكذا أورد هذا الحديث هنا مختصرا جدا وقد رواه في أجاديث الأنبياء بهذا السند بعينه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن موسى عليه السلام كان رجلا حيا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يتستر هذا التستر إلا من عيب في جلده إما برص وإما أدرة وإما آفة . وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام فخلا يوما وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أتبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول : ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فأرأوه عريانا أحسن ما خلق الله عز وجل وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعاً أو خمسا — قال — فذلك قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ) وهذا سياق حسن مطول وهذا الحديث من أفراد البخارى دون مسلم وقال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم . وخلص ومحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية ( يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ) قال : قال رسول الله ﷺ : « إن موسى كان رجلا حيا ستيرا لا يكاد يرى من جلده شيء استحياء منه . » ثم ساق الحديث كما رواه البخارى مطولا ورواه عنه في تفسيره عن روح عن عوف به . ورواه ابن جرير من حديث الثوري عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحو هذا . وهكذا رواه من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن النهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة وعبد الله بن الحارث عن ابن عباس في قوله ( لا تكونوا كالذين آذوا موسى ) قال : قال قومه له إنك آدر فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشتد بثيابه وخرج يتبعها عريانا حتى انتهت به مجالس بني إسرائيل قال فأرأوه ليس بأدر فذلك قوله ( فبرأه الله مما قالوا ) وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما سواء . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا روح بن حاتم وأحمد بن العلى الأدهي قالوا حدثنا يحيى بن حماد حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال « كان موسى عليه السلام رجلا حيا وإنه آتى — أحسبه قال الماء — ليغتسل فوضع ثيابه على صخرة وكان لا يكاد تبذو عورته فقال بنو إسرائيل إن موسى آدر أو به آفة — يعنون أنه لا يضع ثيابه — فاحتملت الصخرة ثيابه حتى صارت بحذاء مجالس بني إسرائيل فنظروا إلى موسى كأحسن الرجال أو كما قال — فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن سعيد ابن جبيرة عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في قوله ( فبرأه الله مما قالوا ) قال سعد موسى وهارون الجبل فات هارون عليه السلام فقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام أنت قتلته كان ألين لنا منك وأشد حياء فأذوه من ذلك فأمر الله الملائكة فحملته فمروا به على مجالس بني إسرائيل فتكلمت بموته فما عرف موضع قبره إلا الرخم وإن الله جعله أصم أبكم وهكذا رواه ابن جرير عن علي بن موسى الطوسي عن عباد بن العوام به ثم قال وجائز أن

يكون هذا هو المراد بالأذى وجائز أن يكون الأول هو المراد فلا قول أولى من قول الله عز وجل [ قلت ] يحتمل أن يكون الكل مراداً وأن يكون معه غيره والله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال قسم : رسول الله ﷺ ذات يوم قسماً فقال رجل من الأنصار إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله قال : فقلت يا عدو الله أما لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه ثم قال « رحمة الله على موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصر » أخرجه في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش به (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا حجاج سمعت إسرائيل بن يونس عن الوليد بن أبي هشام مولى همدان عن زيد بن زائد عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه « لا يبلغني أحد عن أحد من أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر » فأتى رسول الله ﷺ مال قسمه قال فررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة قال فثبتت حتى سمعت ما قالاً ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إنك قلت لنا « لا يبلغني أحد عن أصحابي شيئاً » وإني مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا ؛ فاحمر وجه رسول الله ﷺ وشق عليه ثم قال « دعنا منك لقد أودى موسى بأكثر من هذا فصر » وقد رواه أبو داود في الأدب عن محمد بن يحيى الدهلي عن محمد بن يوسف الفريابي عن إسرائيل بن الوليد بن أبي هشام به مختصراً « لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر » وكذا رواه الترمذي في المناقب عن الدهلي سواء إلا أنه قال زيد بن زائدة ، ورواه أيضاً عن محمد بن إسماعيل عن عبد الله بن محمد عن عبيد الله بن موسى وحسين بن محمد كلاهما عن إسرائيل بن السدي عن الوليد بن أبي هشام به مختصراً أيضاً فزاد في إسناده السدي ثم قال غريب من هذا الوجه وقوله تعالى ( وكان عند الله وجهياً ) أي له وجهة وجاء عنده عز وجل . قال الحسن البصري كان مستجاب الدعوة عند الله وقال غيره من السلف لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ولكن منع الرؤية لما يشاء عز وجل . وقال بعضهم من وجاهته العظيمة عند الله أنه شفع في أخيه هارون أن يرسله الله معه فأجاب الله سؤاله فقال ( ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

يقول تعالى أمرا عباده المؤمنين بتقواه وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه وأن يقولوا (قولا سديدا) أي مستقيما لا اعوجاج فيه ولا انحراف ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أنابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم أي يوقفهم للأعمال الصالحة وأن يغفر لهم الذنوب الماضية . وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها ثم قال تعالى ( ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ) وذلك أنه يجاز من نار الجحيم ويصير إلى النعيم المقيم . قال ابن حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو ابن عوف حدثنا خالد عن ليث عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فلما انصرف أوما إلىنا يده فجلسنا فقال « إن الله تعالى أمرني أن أمركم أن تتقوا الله وتقولوا قولا سديدا » ثم أتى النساء فقال « إن الله أمرني أن أمركم أن تتقوا الله وتقولوا قولا سديدا » وقال ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى حدثنا محمد بن عباد بن موسى حدثنا عبد العزيز بن عمران الزهري حدثنا عيسى بن سبرة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ما قام رسول الله ﷺ على المنبر إلا سمعته يقول ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ) الآية غريب جدا ، وروى عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن محمد بن كعب عن ابن عباس موقوفا : من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، قال عكرمة القول السديد لإله إلا الله وقال غيره السديد الصدق وقال مجاهد هو السداد وقال غيره هو الصواب والكل حق

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿

قال العوفي عن ابن عباس يعني بالأمانة الطاعة عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقها فقال لآدم : إنى قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها فهل أنت آخذ بما فيها ؟ قال يارب وما فيها ؟ قال إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله تعالى ( وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ) وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس : الأمانة الفرائض عرضها الله على السموات والأرض والجبال إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك وأشفقوا عليه من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم قبلها بما فيها وهو قوله تعالى ( وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ) يعني غرا بأمر الله ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية ( إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ) قال عرضت على آدم فقال خذها بما فيها فإن أطعت غفرت لك وإن عصيت عذبتك قال قبلت فما كان إلا مقدار ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة ، وقد روى الضحاك عن ابن عباس قريبا من هذا وفيه نظر وانقطاع بين الضحاك وبينه والله أعلم . وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن البصرى وغير واحد : إن الأمانة هى الفرائض ، وقال آخرون هى الطاعة وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : قال أبى بن كعب من الأمانة أن المرأة تؤتمنت على فرجها . وقال قتادة الأمانة الدين والفرائض والحدود ؛ وقال بعضهم الغسل من الجنابة ، وقال مالك عن زيد ابن أسلم قال الأمانة ثلاثة ، الصلاة والصوم والاعتسال من الجنابة وكل هذه الأقوال لاتنافية بينها بل هى متفقة وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها وهو أنه إن قام بذلك أثيب وإن تركها عوقب قبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفق الله وبالله الاستعان ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد العزيز بن المغيرة البصرى حدثنا حماد بن واقد يعني أبا عمر الصفار سمعت أبا معمر يعني عون بن معمر يحدث عن الحسن يعني البصرى أنه تلا هذه الآية ( إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ) قال عرضها على السبع الطبايق الطرائق التى زينت بالنجوم ، وحلة العرش العظيم ، فقيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال قيل لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت قالت : لا ، ثم عرضها على الأرضين السبع الشداد ، التى شدت بالأوتاد ، وذلك بالمهاد ، قال فقيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال قيل لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت ، قالت لا ، ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصعاب الصلاب قال قيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت قالت : لا . وقال مقاتل بن حيان إن الله تعالى حين خلق خلقه جمع بين الإنس والجن والسموات والأرض والجبال فبدأ بالسموات فعرض عليها الأمانة وهى الطاعة فقال لمن تحملن هذه الأمانة ولكن على الفضل والكرامة والثواب فى الجنة ؟ فقلن يارب إنا لانتطيع هذا الأمر وليس بنا قوة ولكننا لك مطيعين ، ثم عرض الأمانة على الأرضين فقال لمن : آحملن هذه الأمانة وتقبلنها منى وأعطيكن الفضل والكرامة فى الدنيا ؟ فقلن : لا صبر لنا على هذا يارب ولا نطيق ولكننا لك سامعين مطيعين لانصيبك فى شىء أمرتابه . ثم قرب آدم فقال له آحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها ؟ فقال عند ذلك آدم مالى عندك ؟ قال يا آدم إن أحسنت وأطعت ورعيت الأمانة فلك عندى الكرامة والفضل وحسن الثواب فى الجنة ، وإن عصيت ولم ترعها حق رعايتها وأسأت فإنى معذبك ومعاقبك وأنزلك النار ، قال : رضيت يارب وتحملها فقال الله عز وجل عند ذلك



الودائع ، فلقيت البراء فقلت ألا تسمع ما يقول أخوك عبد الله ؟ فقال صدق وقال شريك وحدثنا عياش العامري عن زاذان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يذكر الأمانة في الصلاة وفي كل شيء اسناده جيد ولم يخرجوه . ومما يتعلق بالأمانة الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن وعلوا من السنة . ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الحبل كجمر دحرجته على رجلك تراه منتبرا وليس فيه شيء - قال ثم أخذ حصي فدحرجه على رجله قال - فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال إن فى بنى فلان رجلا أمينا ، حتى يقال للرجل ما أجله وأظرفه وأعقله وما فى قلبه حبة خردل من إيمان ، ولقد آتى على زمان وما أبلى أيكم بايعت إن كان مستلما ليردنه على دينه ، وإن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه فأما اليوم فما كنت أباع منكم إلا فلانا وفلانا . وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الأعمش به . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة » هكذا رواه الإمام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنها ، وقد قال الطبرانى فى مسنده عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف المصرى حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ابن حجية عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة » فزاد فى الاسناد ابن حجية وجعله فى مسند ابن عمر رضى الله عنهما وقد ورد النهى عن الحلف بالأمانة قال عبد الله بن المبارك فى كتاب الزهد حدثنا شريك عن أبي إسحاق الشيبانى عن خناس بن سحيم أو قال جبلة بن سحيم قال أقبلت مع زياد بن حدير من الجابية فقلت فى كلامي لا والأمانة فجعل زياد ييكى وييكى فظننت أنى أوتيت أمرا عظيما فقلت له أ كان يكره هذا ؟ قال : نعم ، كان عمر بن الخطاب ينهى عن الحلف بالأمانة أشد النهى وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع قال أبو داود حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا زهير حدثنا الوليد بن ثعلبة الطائى عن ابن بريده عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف بالأمانة فليس منا » تفرد به أبو داود رحمه الله ، وقوله تعالى ( ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ) أى إنما حمل بنى آدم الأمانة وهى التكليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات ، وهم الذين يظهرون الإيمان خوفا من أهله ويبيطنون الكفر متابعين لأهله ( والمشركين والمشركات ) وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسله ( ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ) أى ويرحم المؤمنين من الخلق الذى آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته ( وكان الله غفورا رحيما ) آخر تفسير سورة الأحزاب والله الحمد والمنة .

## ﴿ تفسير سورة سبأ وهى مكة ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ \* يَعْلَمُ مَا يَلْجَأُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾

غير تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق فى الدنيا والآخرة لأنه النعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة ،